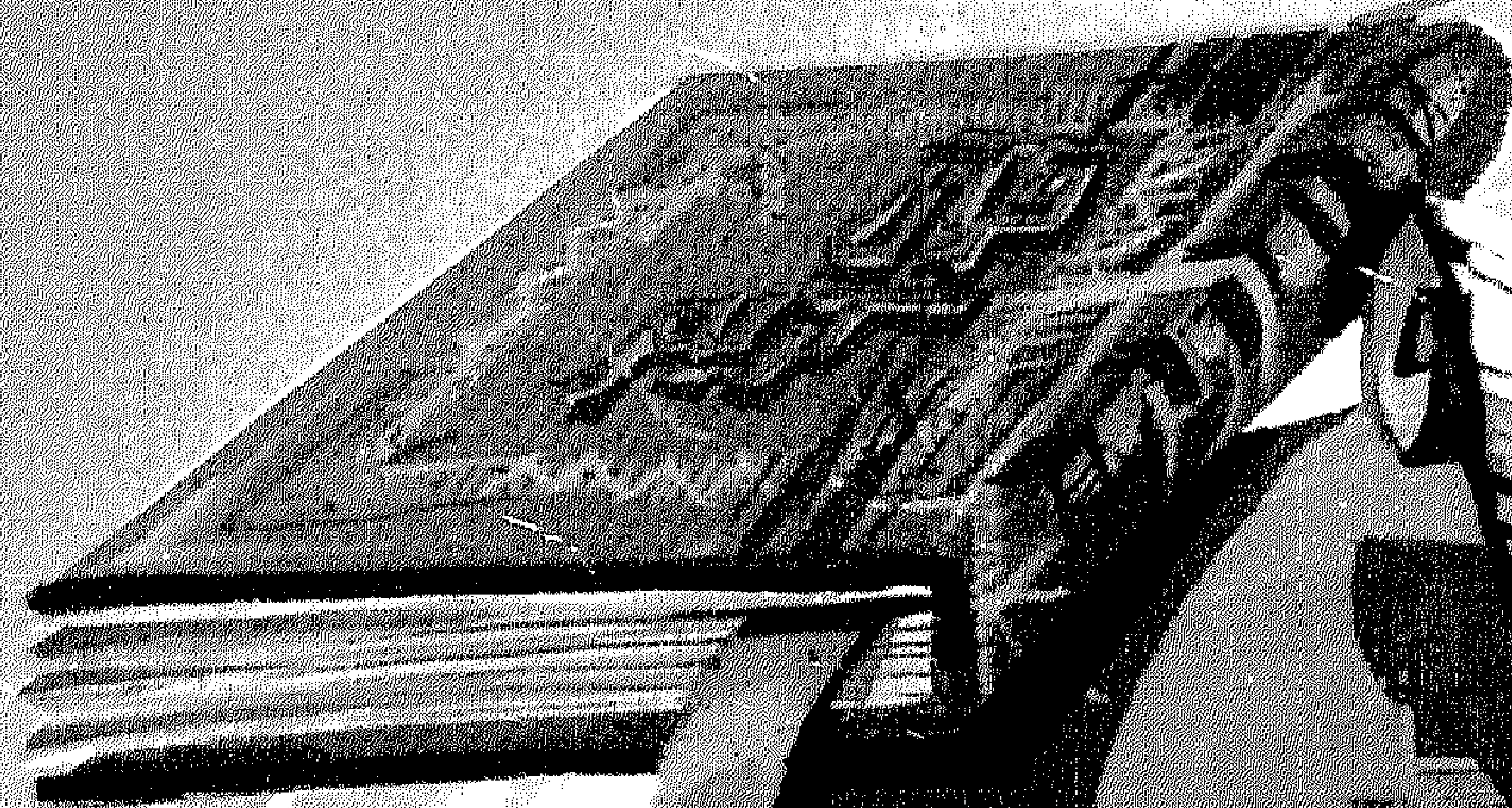
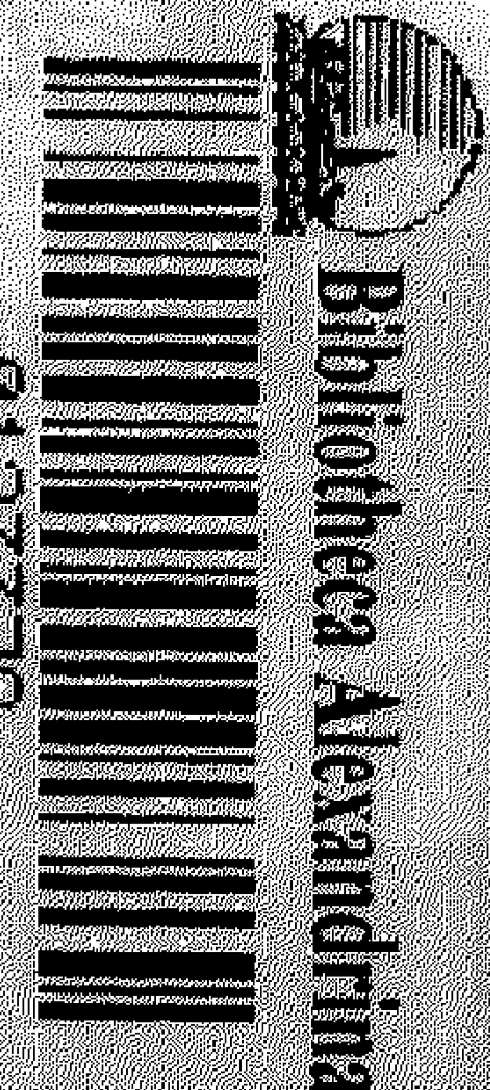
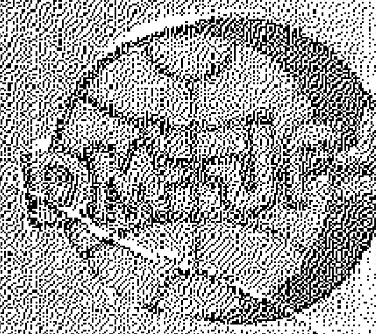
محمد كامل عبد الصمد

الإعجاز العلمي في الإسلام

السُّنّة النّبويّة







الدار المصرية اللبنانية

الإعجاز العلمي في الإسلام

السنة النبوية

الناشـــر : الـــدار المصريـــة اللبنانيـــة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٨٢٤٤/ ١٩٨٩
الترقيم الدولى : 8 - 05 - 1830 - 977
طبـع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ـ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م
الطبعة الثانية : ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م
الطبعة الثالثة : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م

الإعجاز العلمي في الإسلام

السنة النبوية

محمد كامل عبد الصمد

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الأستاذ المستشار/ عبد الله المدنى

«الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً . ماكثين فيه أبداً» وأشهد أن لا إله إلا الله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً . «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاء رُحماء بينهم . تراهم ركّعاً سُجّداً . يتبغون فضلاً من الله ورضواناً . سيماهم فى وجوههم من أثر السجود» صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد إمام المهتدين وخاتم المرسلين ، الذى بعثه الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، وتلا عليهم آيات ربه ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وزكاهم ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .

وبعد ، فقد شَرُفْتُ بقراءة هذا الكتاب القيم ــ الإعجاز العلمى فى الإسلام ــ الذى انتقاه واختاره الأستاذ الفاضل محمد كامل عبد الصمد ــ العالم الصادق ، والداعى الصادع بكلمات الله ، القائم لله لكشف الإعجاز العلمى فى الإسلام ، وهو أمر لا تنتهى غرائبه ، وقد جعله هذا البحث يغوص فى بحار التوحيد ، فأكدت سطور كتابه أن كل ما فى الوجود ينطق بوحدانية الواحد سبحانه .

وقد اعتمد الأستاذ المؤلف ــ زاده الله من علمه وفضله ــ على القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعلى ما تيسر له من أحاديث الرسول الأمين ، الذى ما عزَّ الناس وأفلحوا إلا يوم جعلوه القدوة الحسنة لهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وما وهن أمرهم ، ولا ضل سعيهم إلا من يوم عميت عليهم السبيل ، وأفلت من أيديهم حبل الله المتين ، وأهملوا سنة رسول الله وهداه .

كما اعتمد أيضاً على كُتب للعلماء المحققين المدققين الداعين إلى الله ، وعلى مراجع وأبحاث ومقالات علمية لعلماء متخصصين .

فجاء الكتاب بذلك مخاطباً القلب والعقل حقاً ، محققاً الهدف الذى وضع من أجله .. لقد قرأت وعرفت .. وتبصرت ودرست .. فكان حقاً علىَّ لله ، ثم للناس أن يكون لى شرف التقديم لهذه الزبدة الطيبة ؛ لعل الله ينفعنى وينفعهم بها ، ويكشف الغشاوة التى غطت البصائر، ورانت على القلوب ، ويفتح الله به قلوباً غلفاً ، وآذاناً صُمًّا ، وأعيناً عميا ، وينير به السبيل .

أما أنت أيها الأستاذ الجليل يا من أنار الله بصرك وبصيرتك ، فرأيت بهما من الإعجاز العلمى فى الإسلام مالم نره ، فجمعته فى كتابك هذا الجليل ــ فلك كل تقدير .

جزاك الله عنا خيراً ، وأطال الله فى عمرك ؛ لتكشف لنا المزيد مما تراه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستشار/ عبد الله المدنى .

مقدمة الطبعة الثانية

نحمد الله ونستعينه ونستهديه أن يزيدنا علماً بهدى رسول الله ﷺ وسنته التى انطوت على مكنونات وأسرار بليغة المعنى والمغزى، اكتشفها العلم الحديث وما يزال إلى يومنا هذا.

ومن الملفت للنظر أن ترد تلك الحقائق العلمية على لسان نبينا الأمى الذى لم يتعلم القراءة والكتابة، وإذا به يتلفظ بهذه الأحاديث الشريفة التى اكتنفها أسرار مدهشة مذهلة، ليست لأهل زمانه فحسب الذين قد دهشوا حينذاك بفصاحة القرآن وإعجازه البلاغى مع حذقهم لغته وفصاحتهم.. ولكن الأغرب من ذلك الحقائق العلمية والمعلومات المستفيضة التى تعالج أدق القضايا ببيان وإعجاز أثبته العلم الحديث مؤخراً فى عصر يقال عنه إنه عصر تطور العلم والتكنولوجيا.

وعلى ذلك نكرر دعوتنا السابقة بضرورة تدريس مادة «الإعجاز العلمى فى الإسلام» بشقيه: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ضمن المواد الدراسية التى تدرس لأبنائنا الطلاب فى مختلف مستويات التعليم؛ ليزدادوا إيماناً بعظمة دينهم وما أودع فيه من حقائق وأسرار علمية.

ولتحقيق ذلك ينبغى إعداد الكوادر الأكفاء دينيا وعلمياً؛ لتكون قدوة صالحة قادرة على إيصال المعلومات لمتلقيها فى سهولة ودقة.. بالإضافة إلى انتقاء صفوة من الملمين بموضوعات الإعجاز العلمى فى الإسلام لنشر الدعوة عن طريق بيان صور الإعجاز العلمى وتوضيحه فى الأوساط البعيدة عن المعارف الإسلامية؛ لتوجيههم فى إقناع وحجة منطق وبيان علم ــ إلى التعرف على عظمة الإسلام ومسايرته للعصر وتأييده لما أثبته العلم الحديث..

ومن الوسائل المفيدة أيضاً فى ذلك والتى ينبغى استغلالها استغلالاً طيباً

والانتفاع بها في ذلك الميدان ــ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.. وذلك بأن تحتوى الإذاعة المرئية (التليفزيون) على برنامج دورى يوضح حقائق الإعجاز العلمى مع ربط هذه الحقائق بالأدلة على قدرة الله تعالى واستحقاقه للألوهية دون سواه، وعلى صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وذلك على غرار برنامج العلم والإيمان.. كما ينبغى أن تقوم الإذاعة المسموعة (الراديو) بدورها بإذاعة كل جديد فى مجال الإعجاز العلمى، وتبصير المستمعين بما يحمله الإعجاز العلمى من صدق الدلائل على عظمة دين الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ومن الأهمية أيضاً أن يكون هناك مجلة شهرية أو نصف شهرية تهتم بتوضيح حقائق الإعجاز العلمى، ونشر كل جديد فى مجال القرآن الكريم والسنة النبوية وتصدر فى صورة دوريات منتظمة.

ومن تلك الوسائل المفيدة أيضاً التى ينبغى أن تهتم بها النوادى العلمية والثقافية وتجهيزها بالوسائل والإمكانات التى تتيح لها عرض وشرح مظاهر الإعجاز العلمى فى الإسلام، سواء عن طريق المحاضرات والندوات العلمية أو عن طريق الكتب والمجلات الثقافية للشباب والنشء الصغير.

إن العلم يتطور، وكلما ازداد العقل علماً والنفس اقتناعاً بما حولها ازدادت إيماناً بدينها وما أودع فيه من حقائق وأسرار علمية.

هذا، وآمل أن يكون كتابى إحدى اللبنات فى صرح المكتبة الإسلامية التى مازالت تفتقر إلى تلك النوعية من الكتب فى مجال الإعجاز العلمى فى الإسلام.

والله أسأل أن يجعل علمى هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منى يوم العرض عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد كامل عبد الصمد

دمياط فى ٢٤ من ربيع الآخر ١٤١٢هـ
الموافق أول نوفبر ١٩٩١م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذى أنعم علينا بالإسلام على يد رسوله محمد ﷺ.. الذى أرسل هادياً ومبشراً ونذيراً فى سنته الشريفة التى يشهد لها العلم الحديث بالإعجاز العلمى.

وبعد....

فلقد رأيت أن موضوع الإعجاز العلمى فى السنّة الشريفة قد مسّت حاجة الزمان إليه، ودعت إليه أحوال العصر، حيث كثر الجدل فى الآونة الأخيرة حول السنّة ومدى أهمية الرجوع إليها.

وللأسف أن نجد البعض ــ ممن كنا نتصورهم علماء ــ يؤولون النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله حسب أهوائهم، ثم يستبعدون أحاديث رسول الله ﷺ بحجة عدم مسايرتها للعلم الحديث.. أو كونها تتنافى مع التجديد وتطور العلم كما يزعمون!

ومما احتج به الذين رفضوا السنة أن السنة تخالف العقل والعلم، ومن ذلك ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ما أوردوه من قول رسول الله ﷺ: «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه، ثم ليطرحه؛ فإن فى أحد جناحيه داء، وفى الآخر دواء، وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء».

ويغفل أمثال هؤلاء أن الحديث ليس فيه ما يرفضه العقل أو يحكم باستحالته، ولكن فيه أموراً قد يستغربها العقل ولا يستطيع تصورها... ومن هنا نجد الذين ينادون بتحكيم العقل فى صحة الحديث أو كذبه لا يفرقون بين المستحيل وبين المستغرب نتيجة الجهل به، فيبادرون إلى تكذيب كل ما يبدو غريباً على عقولهم؛ اغتراراً بسلطان العقل.

وقد وقع فى مثل هذا كثير من علماء المسلمين، ولاسيا إبّان النهضة الأوروبية الحديثة، فجاءوا بكلام لا يرضاه الإسلام، ونسوا أن العقل له حدود يجب أن يقف عندها ولا يتعداها.

فإذا نظرنا إلى الحديث الشريف الذى أوردناه ـ ويحتجون به كمثال على ذلك ـ نتساءل: ما وجه الاستحالة فيه؟.. أليس الله قادراً على أن يجعل فى أحد جناحى الذباب جراثيم فعالة.. وأن يجعل بالجناح الآخر مضادات لهذه الجراثيم؟!.. ألم يكن الله على كل شىء قديرا؟!.

ثم أين تلك الغرابة التى زالت بعد أن أجريت التجارب المعملية لإثبات هذا الأمر؟.. لقد جاءت النتائج مؤيدة لقول رسول الله ﷺ.. ألم يكن هذا إعجازاً علمياً لم يستطع العقل البشرى أن يستوعبه قبل إجراء التجارب عليه!؟.

ومن الأحاديث التى قالوا عنها إنها متعارضة مع العقل والعلم قوله ﷺ: «إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فاغسلوه سبعاً إحداهن بالتراب».

... لقد ذهبوا محتجين بالعقل وحده: إن غسل الإناء سبع مرات بالماء كفيل أن ينظفه.. أما أن يغسل بالتراب، فكيف ينظف التراب؟ إن شأن التراب أن يزيد الاتساخ، لا أن يجلب النظافة.

... ونقول فى ذلك ما قد قيل فى الحديث السابق بأن للعقل حدوده التى لا يتعداها.. وعلى العلم أن يبحث؛ ليكشف ويتحقق من صحة الحديث، لا أن يرفضه للوهلة الأولى لمجرد أن العقل لا يستسيغه.

وبالفعل تحقق الباحثون من ذلك، فتبينوا صحة ما ورد فى حديث رسول الله ﷺ وقالوا بأن جراثيم الكلب لا يمكن أن تزول إلا بالتراب مهما غسلت بغيره، وقد ثبت ذلك من تجارب عديدة أجريت فى حقول معملية فى بلاد لا تدين بالإسلام.

بل أكثر من ذلك أننا نجد البعض ينكر أحاديث متواترة إن لم يكن يقابلها نصوص واضحة من القرآن الكريم.. فى الوقت الذى يقبلون فيه ما يوافق

هواءهم، وبذلك شاع كثير من ألوان الضلال والانحراف فى فهم السنة الشريفة لتى ينبغى التصدى لها بالمنهج العلمى الذى يتذرعون به.

ومن هنا كانت الضرورة تحتم تناول مسائل شتى من صور الإعجاز العلمى فى لسنة الشريفة يحتاج إليها المسلم وغيره.. فيزداد المسلم إيماناً برسوله العالم الذى علمه ربه بإلهامه أو وحيه.

وليعلم كل مكابر بالعقل أن العلم يتطور ويكشف الأعاجيب فى بحوثه واستكشافاته، فما كان غامضاً أو غريباً على العقول أصبح مفهوماً مستساغاً، بل إن كثيراً مما كان يعتبر حقيقة من الحقائق التى يعتد بها العقل ردحاً طويلاً صار خرافة من الخرافات.. وما كان مستحيلاً فى تصور العقل بالأمس أصبح حقيقة واقعة الآن.

إننا ــ برغم الهجوم والحملة المحمومة على السنة الشريفة ــ نجد الكتب التى تتناولها كغيرها من الكتب الإسلامية لها عشاقها وطلابها من أبناء الإسلام وغيرهم من الذين يريدون معرفة حقيقة الإسلام وتعاليمه.

ومما يدل على شراسة هذا الهجوم من أعداء الإسلام أن هناك جهوداً جبارة تبذل، وأموالاً طائلة ترصد، وطاقات هائلة تجند؛ للنيل من السنة الشريفة للوصول إلى غرضها من تشويه عقيدة الإسلام وشريعته.

ومن هنا أرى من الضرورى تدريس مادة «الإعجاز العلمى فى الإسلام» بشقّيه: القرآن والسنة الشريفة ضمن المواد الدراسية التى تدرس لأبنائنا الطلاب فى المدارس والمعاهد والجامعات؛ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم بقدر رسولهم محمد ﷺ معلم البشرية وحاديها إلى سواء السبيل، فضلاً عن أن ندرأ عنهم الوساوس الفكرية والعقائدية التى تنجم عن إشاعة الشبهات والافتراءات من القوى المعادية للإسلام، التى تستهدف النيل من الرسول الكريم وسنته الشريفة، تلك هى أمانيهم، وما هم ببالغيها طالما كان الحذر منها والاهتمام بمزج العلم بالدين ببيان أوجه الإعجاز العلمى فيه.

كما أن تفنيد المزاعم الكاذبة التى تتستر بدعوى العلم والأساليب العلمية الحديثة لا يكون الرد عليها إلا بسلاحها.. بالعلم ومناهجه الحديثة، وذلك:

﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منى يوم العرض عليه.

دمياط فى ١٨ من المحرم ١٤١٠ هـ.

الموافق ٢٠ من أغسطس ١٩٨٩ م.

الإعجاز العلمى فى السنة

- الفصل الأول : علوم الطب (أ)
- الفصل الثانى : علوم الطب (ب)
- الفصل الثالث : علوم الطب (جـ)
- الفصل الرابع : علوم الطب (د)
- الفصل الخامس : علوم الطب (هـ)
- الفصل السادس : علوم الطب (و)
- الفصل السابع : علم الميتافيزيقا
- الفصل الثامن : علم الإجتماع
- الفصل التاسع : علم التربية الجمالية
- الفصل العاشر : من قصص الإعجاز العلمى

الفصل الأول

علوم الطب
(أ)

أولاً : طب الأسنان
- طب الأمراض الباطنة استطلاق البطن
- وضعية الجسم عند تناول الطعام
- الأمراض الجلدية العلاج بالكى
- الجذام
- التطهير بالنار
- طب أمراض الحميات
- الحجامة
- وقاية الجهاز الهضمى
- الغضب
- عدم إكراه المريض على تناول الطعام
- البدانة

أولاً : طب الأسنان

قال ﷺ :
« السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » (١) .

وقال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » (٢) .

ثبت علميا أن السواك يحتوى على نسبة كبيرة من الفلورايد وغيره من المواد التى لها الأثر الفعال فى نظافة الفم ..

فقد أثبتت الأبحاث الطبية بالإضافة إلى ذلك احتواءه على المضادات الحيوية وقلويات ومواد مطاطية وشمعية (٣) وصمغية ، والكلورين وفيتامين « ج » .

أما مادة الفلورايد التى وجدت فى أعواد السواك فلها دور فى تخفيف ومنع أمراض التسوس ، وذلك من جراء تفاعل الفلورايد مع إحدى مكونات السطح الخارجى للأسنان ، وتسمى « الهيدروكس أباتيث » والتى تحول إلى مادة تسمى فلورو أباتيث .. وهذا الناتج الأخير له مقاومة عالية ضد الذوبان الإحماضى التى تفرزها البكتريا أثناء وجود مرض التسوس .

كما يعمل « الفلورايد » على تقليل حموضة الإفرازات البكتيرية فى داخل الفم مما يقلل من سرعة ذوبان أجزاء الأسنان الخارجية فى هذه الأحماض .

ويساعد الفلورايد على إعادة ترسيب المادة المفقودة من الأسطح الخارجية المتأثرة بالتسوس ، مما يزيد من مقاومتها مستقبلاً للتسوس .

---

(١) رواه البخارى والنسائى .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) مأخوذة من نباتات لها أسماء علمية وهى « دايوسبايروس ، وجالثيرية ، ونبات الجرافسيتية .

والأثر الآخر للفلورايد .. هو إحباط نمو البكتريا المسببة للتسوس فى الفم .. فالفضلات المترسبة على الأسنان تزال بالحركة الميكانيكية فى استخدام السواك، مما يجعل شعيراته تقوم بتدليك اللثة وتنشيط الدورة الدموية فيها .. وهى العملية المسماة « بالمساج » .

أما المادة الكيميائية الأخرى والأساسية أيضاً فى السواك .. فهى « السليكون » .. ولهذه المادة تأثير على إزالة الفضلات والألوان المترسبة على الأسطح الخارجية للأسنان (٤) .

أما القلويات الموجودة فى السواك فإنها تعطى نكهة وطعماً طيباً للسواك .. وكذلك لها أثر على توقيف نشاط البكتريا فى الفم ... وبعض هذه القلويات لها تأثير فعال على إيقاف الالتهابات فى اللثة والأنسجة المحيطة بالأسنان .

كما يحتوى السواك على مادة التانين ومواد شمعية .. وعند استخدام السواك تعمل هاتان المادتان على شد الأنسجة المخاطية المرتخية للثة، والأنسجة المحيطة بها، مما يعطى هذه الأنسجة قوة وشدة تماسك أكثر.. وتكّون المواد الشمعية فى السواك طبقة عازلة تغلف الأسطح الخارجية للأسنان، مما يساعد على زيادة مناعتها ضد التسوس .

وفى دراسة علمية أجريت فى الباكستان عام ١٩٨١ على أنواع السواك المشتقة من نباتات «الدياليوم جينيز» .. ونباتات «دايوسبايروس» و«الفنارا زانتوا كسلوايد» .. كان من نتائجها وجود مواد فى السواك تقلل وتمنع الإصابة بسرطان الفم، لدرجة أن المعهد الوطنى للصحة فى الولايات المتحدة الأمريكية أجرى بعض التجارب على مستخلصات نباتات «الفتارى ماكروفيلا» والتى تستخدم فى بعض أنواع السواك .. وذلك لدراسة مدى فعاليتها ضد أمراض السرطان ... وكانت النتائج تدل على وجود مركبات كيميائية فى هذه النباتات تمنع نمو بعض أنواع الأمراض السرطانية .. وبالتالى ثبت أن الذين يستخدمون السواك باستمرار أقل عرضة للإصابة بسرطان الفم من الذين لا يستخدمون السواك .

---

(٤) السواك أجر وعلاج : د . عبد الله الشمرى (المجلة العربية : مارس ١٩٨٥) بتصرف .

وفى قسم الأبحاث بالشركة السويسرية للأدوية فى بازل.. تم إجراء التجارب العلمية على خلاصة السواك... فجاءت النتائج القاطعة والمذهلة باحتواء السواك والمعروف علميا باسم «سلفا دور ابرزيكا» على مواد قاتلة لجراثيم الفم الضارة التى تسبب التهابات اللثة وتسوس الأسنان.

وقد استخدمت خلاصة السواك بعد استبعاد بعض الشوائب فى صناعة معجون الأسنان (٥).

وقد أصبح هذا المعجون أول معجون فى العالم، يحتوى على خلاصة السواك النقية والطبيعية، ولا يحتوى على أية مواد كيميائية بآثارها الجانبية، ويأتى دليلاً قاطعا على الإعجاز العلمى فى الحث على استعمال السواك.

وفى إحدى الدراسات الطبية التى أجريت عام ١٩٨٠ لمعرفة مدى فاعلية استخدام السواك على نظافة الأسنان واللثة، وتقليل نسبة التسوس، شارك فيها ٨٨٧ شخصا يستخدمون السواك فى جنوب غانا، منهم ٤٥٠ رجلاً والبقية نساء.. وكانت نتائج البحث تدل على أن ٨٣,٧٪ من مجموع المشاركين فى البحث لا يعانون من فقد أسنانهم.. وكانت نسبة التسوس فى الأسنان قليلة..

وعللت هذه الأبحاث أسباب ذلك باحتواء السواك على نسب عالية من عنصرى الفلورين والسيليكون اللذين لهما تأثير على إيقاف نشاط البكتريا المسببة لتسوس الأسنان.

وهكذا بينت الدراسات الحديثة.. وبعد مرور أربعة عشر قرناً، أن فعالية

---

(٥) تحت عنوان آخر مبتكرات أوربا من معجون الأسنان «فى مجلة الاعتصام عدد يناير سنة ١٩٨٦» كتب الأستاذ عبدالتواب يوسف يقول: «يثبت العلم الحديث صواب ما تحدث به الرسول ﷺ وأنا أتطلع إلى علبة معجون أسنان مستوردة من سويسرا مكتوب عليها «معجون الأسنان الذى يحتوى على خلاصة المسواك النقية من الشوائب والتى ثبت علمياً فاعليتها فى قتل جراثيم الفم الضارة». ثم يقول: «..ويعلم الله كم اهتزت مشاعرى وأنا أنظر لحروف كلمة «مسواك» باللغات الثلاثة العربية والإنجليزية والفرنسية.. وتجىء النشرة الداخلية باللغات الثلاثة وقد تصدرها الحديث النبوى الشريف: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب».

السواك ترجع إلى تكوينه الكيميائى، بالإضافة إلى احتوائه ـ كما رأينا ـ على بعض الخصائص الدوائية الفعالة.

ومن ذلك يتجلى الإعجاز العلمى فى قول رسول الله ﷺ.

طب الأمراض الباطنة

استطلاق البطن:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخى استطلق بطنه... فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلا»... فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا. قال: «اذهب فاسقه عسلا».. فذهب فسقاه عسلا، ثم جاء فقال: يا رسول الله: مازاده ذلك إلا استطلاقا. قال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلا»... فذهب فسقاه عسلا فبرىء»(٦).

فى دراسة حديثة عن أثر العسل على إفرازات المعدة من أحماض وأنزيمات، تبين أن العسل يهبط بإفراز حامض الهيدروكلوريك إلى معدله الطبيعى، مما يساعد على التئام قرحة المعدة والاثنى عشر.

وهناك تجارب كثيرة أجريت فى شتى بقاع العالم شرقا وغربا للتأكد من فعالية عسل النحل فى شفاء الأمراض.. من تلك ما قام به العالم البكتريولوجى «ساكيت» الذى راعه أن كثيراً من الأغذية الطبيعية تنقل الأمراض الجرثومية نتيجة لتلوثها، فى حين ماتت جميع الجراثيم فى وسط العسل، مما يثبت فعاليته فى القضاء على الجراثيم التى توجد فى الأمعاء والمعدة، وتسبب أعراضا مرضية.

ومن هنا ندرك أثر التركيز العلاجى للعسل فى القضاء على الأمراض والعلل، وتبين لنا ذلك بصورة جلية فى تأكيد الرسول ﷺ فى ضرورة العلاج بعسل النحل، وهذا ما أكدته البحوث التجريبية الحديثة بعد أربعة عشر قرنا من رواية

---

(٦) رواه البخارى.

هذا الحديث الشريف الذى وضع قاعدة علمية فى علاج الأمراض الباطنة وغيرها من أمراض .. مما يعد إعجازاً علميا قد ألهم الله تعالى به رسول ﷺ (٧).

وضعية الجسم عند تناول الطعام :

قال ﷺ :

« لا آكل متكئا » (٨).

كما روى أنه « ما رُئِى رسول الله ﷺ يأكل متكئاً قط » (٩).

لأجل أن يكون وضع الجهاز المضمى فى أتم استعداد لاستقبال وجبة الطعام، ولأجل قدوم أكبر كمية ممكنة من الدم كافية للجهاز الهضمى، كان وجوب الجلوس وثنى الساقين تحت الجسم لحصر الدم فى منطقة الجهاز الهضمى، مع جعل الساق اليسرى مثنية واليمنى مرتكزة على القدم، لجعل منطقة المعدة حرة طليقة، ومساحتها الخارجية بعيدة عن أى ضغط مسلط باتجاهها من الجهة الخارجية.

كما يجب الامتناع عن الحركة والسير أثناء الطعام (١٠) لمنع ذهاب الدم إلى الجهاز العضلى فى وقت يكون فيه الجهاز الهضمى فى أمس الحاجة إليه، الأمر الذى يجعل الإنسان يحس بالركود الفكرى والخمول، كما يحس بالانحلال العضلى والارتخاء الجسمى العام.

وهذا الوضع من أشكال الجلوس أمر به وطبقه الرسول ﷺ .. وهو أصح وأسلم فى حالة الجلوس على الأرض من استعمال الكراسى حول مائدة الطعام.

أما تناول الطعام فى وضع الاتكاء، فإنه يسبب تشنج واضطراب تقلصات البلعوم، فلا يستطيع الإنسان « بلع » اللقمة بارتياح ولذة.

كما أنه يحدث ارتخاء فى عضلات البطن، فلا تستقبل المعدة الطعام بصورة

---

(٧) تم معالجة موضوع عسل النحل، باستفاضة فى موضوع سابق من الكتاب « فصل الصحة الغذائية فى القرآن ». ولكن أوردناه هنا بإيجاز حفاظا على وحدة الموضوع للإعجاز العلمى فى السنة.

(٨) أخرجه أبو داود والبخارى والترمذى.

(٩) رواه أبو داود وابن ماجه.

(١٠) نهى الرسول ﷺ على الأكل وقوفا كما نهى عن الأكل متكئا.

صحيحة ؛ لأن المعدة فى وضعها الصحيح تكون فى حالة انتصاب الجسم وارتكازه على الأرض ، وتوازنه الطبيعى دون لجوئه إلى ارتكازه الجانبى فى حالة الاتكاء .

ولقد ثبت علميا أن سير الطعام عبر المرىء ، واستقبال المعدة له فى حالة انتصاب الجسم جلوساً يساعد على عمليات الهضم فى سهولة ويسر بخلاف الأمر عند الاتكاء أو الوقوف أو السير أثناء الأكل وما شابه ذلك (١١) .

وفى هذا ما يجعل الحديث الشريف فى مصاف القواعد الصحية التى قررها العلم الحديث الآن .

الأمراض الجلدية

العلاج بالكى (١٢) :

قال ﷺ :

« الشفاء فى ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم (١٣) ، وكيّة نار ... وأنهى أمتى عن الكى » (١٤) .

إن علم الطب الحديث يلجأ للكى فى علاج بعض الأمراض الجلدية التى لا يستطيع علاجها بالأدوية مثل السنط وقرح عنق الرحم ... وذلك لأنه ليس هناك أدوية قاتلة للفيروسات مما جعل الكى هو العلاج الناجع برغم الألم الذى يسببه ، والذى يمكن تقليله الآن باستعمال المخدر الموضعى (١٥) .

والسبب الذى من أجله قد وصف النبى ﷺ الكى ثم نهى عنه ، هو الألم الشديد ، ومن هنا جعل الكى من أصول العلاج الأخيرة .. وهذا ما قرره العلم

---

(١١) مجلة العلم والإيمان فى عددها الصادر ١٧الصادر سنة ١٩٧٧ ص ٢٤ .

(١٢) المقصود بالكى ليس فقط مجرد استعمال جهاز الكى كما فى حالات السنط وقرح عنق الرحم .. ولكن أيضاً يقصد به استعمال الأشعة العلاجية بكافة أنواعها ، كالأشعة السينيةَ وتحت الحمراء وفوق البنفسجية .

(١٣) شرطة المحجم : أى المشرط التى يشرط بها فيفرغ بها الدم .

(١٤) وفى لفظ آخر : « وما أحب أن أكتوى » .

(١٥) نظرات إسلامية على الأمراضَ الجلدية والتناسلية : د . محمد عبد المنعم عبد العال (بتصرف) .

الحديث الذى لا يلجأ إليه إلا بعد استنفاد جميع جهود العلاج اللازمة، حيث ثبت أن العلاج بالكى برغم فضله ــ له أضرار محققة مثل :

* إتلاف الجلد والأنسجة الموجودة تحته كما تفعل الحروق.
* تقيح مكان الحرق مما يؤدى إلى عدوى ثانوية ، وهذا بدوره يسبب ألماً شديداً مما يرغم الطبيب على استعمال المضادات الحيوية .
* عند التئام الحروق قد تتولد ندب وألياف ، مما يشوه ويؤدى بالتالى إلى اضطرابات نفسية .. وغير ذلك من آثار جانبية .

ولهذا يظهر الإعجاز العلمى فى نهى الرسول ﷺ عن الكى إلا فى الحالات القصوى .

الجذام :

قال ﷺ :

«فر من المجذوم كما تفر من الأسد» (١٦) .

لقد أثبت علم الطب الحديث أن مرض الجذام من أخطر الأمراض الجلدية التى تنتقل بالعدوى من خلال ميكروب الجذام الذى أمكن مشاهدته والتعرف عليه أخيراً منذ أكثر من مائة عام .. ومع ذلك لم يستطع العلم الحديث السيطرة عليه حتى الآن .

ومرض الجذام يصيب أطراف الأعصاب ، مثل أطراف أعصاب الذراعين ويجعل المريض يفقد الإحساس ، فلا يحس بالألم والحرارة والبرودة ، بل ويمكن أن تدخل الشوكة فى قدمه دون أن يشعر، فضلاً عن إصابة المريض بضمور فى عضلات اليدين والساقين وقروح فى الجلد ، خاصة فى القدمين واليدين ، وتتآكل عظامها ، وتفقد بعض أجزاء منها كالأصابع .. ويمكن أن يصيب القرنية فيؤثر على الإبصار.

---

(١٦) رواه البخارى .

كما أن مرض الجذام يصيب أيضاً الخصيتين.. وهذا يعنى أن مريض الجذام يفقد القدرة الجنسية، وبالتالى لا تكون له ذرية من أولاد.

والجذام نوعان (١٧):

(أ) النوع العقدى: وهو الذى يصيب ذوى المناعة الضعيفة، ويظهر على هيئة عقيدات مختلفة الحجم تصيب الجسم وخاصة الوجه، فتكسبه شكلاً خاصا يشبه وجه الأسد... كما يسبب هذا النوع سقوط شعر الحاجبين، وقد يصيب الغشاء المخاطى للأنف ويسبب نزيفاً منه.

(ب) النوع البقعى الحذرى: وهو يصيب الجلد على هيئة بقع باهتة مختلفة الأشكال والأحجام.. وتتميز هذه البقع بفقدان الحساسية والعرق ونقص فى كمية صبغة خلايا الجلد، وهذا النوع يصيب المرضى ذوى المناعة الجيدة نسبياً.

ومن عظمة التوجيه النبوى الشريف للذين أنعم الله عليهم بنعمة الصحة وعدم الابتلاء بهذا المرض اللعين قوله ﷺ:

«لا تديموا النظر إلى المجذومين» (١٨).

فلقد أثبت علم النفس الحديث أن المجذوم إذا رأى صحيح البدن يديم النظر إليه، فتعظم مصيبته وتزداد حسرته.. ومن ثم فقد جاء النهى عن النظر إليهم رعاية لمشاعرهم.

هكذا أدرك الرسول ﷺ خطورة العدوى من مريض الجذام، فأمر الأصحاء بالابتعاد عن المصابين به على الفور، كما يبتعد الشخص عن الأسد المفترس، ولا سيما أن ميكروب الجذام إذا تمكن من الشخص الصحيح افترسه. لقد قيل هذا الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.. ويجيء العلم الحديث ليثبت صحته وينصح بالتوجيه النبوى الشريف.

---

(١٧) الطب والإسلام: د. عبد الحميد محمد عبد العزيز (بتصرف).

(١٨) إرشاد السارى لشرح البخارى: باب الجذام..

التطهير بالنار:

قال ﷺ:

« إن أطيب طعامكم ما مسّته النار» .

«قرر علماء الطب الحديث أن أفضل مطهر وقاتل للجراثيم هو النار، ولاسيما بالنسبة للأطعمة والشراب وغيرها ، كما ثبت أن طهى الأطعمة بالنار يمنع سراية السل ، والزهرى ، والحمى ، والباراتيفية ، ويحفظ الحلق والبلعوم ، والجهاز المضمى من تسرب الجراثيم الضارة إليها .. وغير ذلك من الفوائد العظمى التى لا تقع تحت حصر[١٩] .

ولذا فهذا الحديث يعد من الفواعد العلمية الصحية التى يؤكد عليها الأطباء الآن .

طب أمراض الحميات :

قال ﷺ :

« إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » [٢٠] .

وقوله عندما ذكرت الحمى فسبها رجل :

« لا تسبها ؛ فإنها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث الحديد » [٢١] .

لقد تبين أنه عند الإصابة بالحمى ذات الحرارة الشديدة التى قد تصل إلى ٤١ درجة مئوية والتى وصفها عليه الصلاة والسلام بأنها من فيح جهنم ــ أن المركز المنظم للحرارة بالمخ قد يصاب بالفشل فى تنظيم حرارة الجسم ، وقد يؤدى ذلك إلى هياج شديد ثم هبوط عام وغيبوبة تكون سببا فى الوفاة ... ولذا كان لزاما تخفيض هذه الحرارة المشتعلة بالجسم فوراً ، حتى ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ ، وليس لذلك وسيلة إلا وضع المريض فى ماء أو عمل كمادات من الماء البارد

---

(١٩) معجزات فى الطب للنبى محمد ﷺ : د . محمد سعيد السيوطى (بتصرف) .

(٢٠) رواه البخارى .

(٢١) رواه مسلم .

والثلج ، حيث إنه إذا انخفضت شدة هذه الحرارة عاد الجسم كحالته الطبيعية بعد أن ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ ، ويقلل هذه الحرارة بوسائله المختلفة من تبخير وإشعاع وغيرهما .

ولذا كان الرسول ﷺ إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل (٢٢) ولما كانت الحمى يستلزمها حمية عن الأغذية الردئية ، وتناول الأغذية والأدوية النافعة ، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن وتصفيته من مواده الرديئة التى تفعل فيه كما تفعل النار فى الحديد فى نفى خبثه وتصفية جوهره ـ كانت أشبه الأشياء بنار الكير التى تصفى جوهر الحديد (٢٣) .

وقد ثبت علميا أنه عند الإصابة بالحمى تزيد نسبة مادة « الأنترفيرون » لدرجة كبيرة (٢٤) كما ثبت أن هذه المادة التى تفرزها خلايا الدم البيضاء تستطيع القضاء على الفيروسات التى هاجمت الجسم ، وتكون أكثر قدرة على تكوين الأجسام المضادة الواقية ... فضلاً عن ذلك فقد ثبت أن مادة « الأنترفيرون » التى تفرز بغزارة أثناء الإصابة بالحمى لا تخلص الجسم من الفيروسات والبكتريا فحسب ، ولكنها تزيد مقاومة الجسم ضد الأمراض ، وقدرتها على القضاء على الخلايا السرطانية منذ بدء تكوينها ، وبالتالى حماية الجسم من ظهور أى خلايا سرطانية يمكن أن تؤدى إلى إصابة الجسم بمرض السرطان (٢٥) .

ولذا قال بعض الأطباء : إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى ، كما يستبشر المريض بالعافية ، فتكون الحمى فيها أنفع من شرب الدواء بكثير مثل مرض الروماتيزم المفصلى الذى تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك ؛ ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبى فى مثل هذه الحالات الحمى الصناعية ، أى إيجاد حالة حمى فى المريض بحقنه بمواد معينة .

ومن هنا ندرك حكمة رسول الله ﷺ فى رفض سب الحمى بل والإشادة بها

---

(٢٢) الطب النبوى وابن قيم الجوزية ص ٢٢ .
(٢٣) المرجع السابق .
(٢٤) دراسة فى الطب النبوى : د . على مؤنس (بتصرف) .
(٢٥) المرجع السابق (بتصرف) .

بوصفها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث الحديد، كما أشار الحديث الشريف الذى نحن بصدده.

الحجامة (٢٦)

قال ﷺ:

«نعم العبد الحجام يذهب الدم، ويجفف الصلب، ويجلو عن الصبر»(٢٧).

وقد روى أيضاً:

«أن النبى ﷺ احتجم، وأعطى الحجام أجره» (٢٨).

لقد أثبت العلم الحديث أن الحجامة قد تكون شفاء لبعض أمراض القلب، وبعض أمراض الدم، وبعض أمراض الكبد... ففى حالة شدة احتقان الرئتين نتيجة هبوط القلب وعندما تفشل جميع الوسائل العلاجية من مدرات البول وربط الأيدى والقدمين لتقليل اندفاع الدم إلى القلب ــ فقد يكون إخراج الدم بفصده عاملاً جوهريا هاماً لسرعة شفاء هبوط القلب.

كما أن الارتفاع المفاجىء لضغط الدم المصحوب بشبه الغيبوبة وفقد التميز للزمان والمكان أو المصاحب للغيبوبة بنتيجة تأثير هذا الارتفاع الشديد المفاجىء لضغط الدم ــ قد يكون إخراج الدم بفصده علاجاً لمثل هذه الحالة.

كما أن بعض أمراض الكبد مثل التليف الكبدى لا يوجد علاج ناجح لها سوى إخراج الدم بفصده، فضلاً عن بعض أمراض الدم التى تتميز بكثرة كرات الدم الحمراء وزيادة نسبة الهيموجلوبين فى الدم تلك التى تتطلب إخراج الدم بفصده، حيث يكون هو العلاج الناجح لمثل هذه الحالات منعاً لحدوث مضاعفات جديدة.

---

(٢٦) المفهوم الطبى لمعنى «الحجامة» ــ هو فصد الدم، وهى إخراج كمية من الدم قد تصل ٥٠٠ سم.. وهى من الأساليب العلاجية لبعض الحالات، ولاسيا التى تعيش فى الأجواء الحارة.

(٢٧) رواه الترمذى.

(٢٨) البخارى ومسلم.

ومما هو جدير بالذكر أن زيادة كرات الدم الحمراء قد تكون نتيجة الحياة فى الجبال المرتفعة ونقص نسبة الأوكسجين فى الجو، وقد تكون نتيجة الحرارة الشديدة بما لها من تأثير واضح فى زيادة إفرازات الغدد العرقية، مما ينتج عنها زيادة عدد كرات الدم الحمراء... ومن ثم كان إخراج الدم بفصده هو العلاج المناسب لمثل هذه الحالات، ومن هنا جاء قوله ﷺ : «خير ما تداويتم به الحجامة» (٢٩). وهو قول اجتمعت فيه الحكمة العلمية التى كشفتها البحوث العلمية مؤخراً.

وقاية الجهاز الهضمى :

قال ﷺ :

«أصل كل داء البردة (٣٠) » (٣١).

هذا الحديث يعد علامة بارزة فى حفظ صحة الجهاز الهضمى، وبالتالى وقاية الجسم كله من التسمم الذاتى الذى ينشأ عن «التخمة» وامتلاء المعدة وتحميلها فوق طاقتها من الأغذية الثقيلة، وعن تناول الغذاء ثانية قبل هضم الغذاء الأول، الأمر الذى يحدث عسرة هضم وتخمرات.. وبالتالى التهابات معدية حادة تصير مزمنة من جراء توطن الجراثيم المرضية فى الأمعاء التى ترسل سمومها إلى الدورة الدموية، فتؤثر على الجهاز العصبى والجهاز التنفسى، وعلى الجهاز البولى الكلوى وغير ذلك من أجهزة حيوية فى الجسم، الأمر الذى يسبب اختلال وظائفها.

ومن هنا كانت المعجزة الطبية فى إمكان التوصل إلى السبب الأساسى لكل داء، وهو الإسراف فى تناول الطعام الذى يسبب تخمة تؤدى إلى أمراض عديدة كما كشفتها البحوث الطبية الحديثة.

الغضب :

روى أن رجلا قال للنبى ﷺ : أوصنى.. قال : «لا تغضب».. فردد مرارا... قال : «لا تغضب» (٣٢).

---

(٢٩) ورد فى الطب النبوى : ابن قيم الجوزية.

(٣٠) البردة : التخمة.

(٣١) أخرجه الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير.

(٣٢) رواه البخارى..

ثبت علمياً أن الغضب كصورة من صور الانفعال النفسى، يؤثر على قلب الشخص الذى يغضب تأثيرا يماثل تماما تأثير العدْو أو الجرى على القلب.

وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضاته أو نبضاته فى الدقيقة الواحدة، فيضاعف بذلك كمية الدماء التى يدفعها القلب، أو التى تخرج منه إلى الأوعية الدموية مع كل واحدة من هذه الانقباضات أو النبضات، وهذا بالتالى يجهد القلب؛ لأنه يقسره على زيادة عمله عن معدلات العمل الذى يفترض أن يؤديه بصفة عادية أو فى ظروف معينة.

إلا أن العدْو أو الجرى فى إجهاده للقلب لا يستمر طويلا؛ لأن المرء يمكن أن يتوقف عن الجرى إن هو أراد ذلك.

أما فى الغضب.. فلا يستطيع الإنسان أن يسيطر على غضبه، لاسيما وإن كان قد اعتاد على عدم التحكم فى مشاعره، وقد لوحظ «أن الإنسان الذى اعتاد على الغضب، يصاب بارتفاع ضغط الدم، ويزيد عن معدله الطبيعى، حيث إن قلبه يضطر إلى أن يدفع كمية من الدماء الزائدة عن المعتاد المطلوب» (٣٣).

كما أن شرايينه الدقيقة تتصلب جدرانها، وتفقد مرونتها، وقدرتها على الاتساع، لكى تستطيع أن تمرر أو تسمح بمرور أو سريان تلك الكمية من الدماء الزائدة التى يضخها هذا القلب المنفعل.. ولهذا يرتفع الضغط عند الغضب.

هذا بخلاف الآثار النفسية والاجتماعية التى تنجم عن الغضب فى العلاقات بين الناس، والتى تقوّض من الترابط بين الناس.

ومما هو جدير بالذكر أن العلماء كانوا يعتقدون ــ فى الماضى ــ أن الغضب الصريح ليس له أضرار، وأن الغضب المكبوت فقط هو المسئول عن كثير من الأمراض، ولكن دراسة أمريكية حديثة قدمت تفسيراً جديداً لتأثير هذين النوعين من الغضب مؤداه:

---

(٣٣) لا تغضب: د. رفعت إسماعيل (مقال منشور فى مجلة العلم والإيمان الدورية عدد ١٦ عام ١٩٧٧).

أن الكبت أو التعبير الصريح للغضب يؤديان إلى الأضرار الصحية نفسها وإن اختلفت حدتها .. ففى حالة الكبت قد يصل الأمر عند التكرار إلى الإصابة بارتفاع ضغط الدم وأحياناً إلى الإصابة بالسرطان.

أما فى حالة الغضب الصريح وتكراره فإنه يمكن أن يؤدى إلى إضرار بشرايين القلب واحتمال الإصابة بأزمات قلبية قاتلة ؛ لأن انفجار موجات الغضب قد يزيده اشتعالاً ويصبح من الصعب التحكم فى الانفعال مهما كان ضئيلاً ، فالحالة الجسمانية للفرد لا تنفصل عن حالته النفسية مما يجعله يسرى بسرعة إلى الأعضاء الحيوية في الجسم ليصيبها بأضرار جسيمة .. فمن البحوث والدراسات العلمية تبين أن التوتر الشديد والانفعالات الحادة يؤديان إلى نتيجة مؤكدة هى إسراف الغدد الحيوية فى إفراز عصاراتها ووصول معدل إفراز إحدى هذه الغدد إلى حد سَدّ الطريق أمام جهاز المناعة فى الجسم ، وإعاقة حركة الأجسام المضادة المنطلقة من هذا الجهاز عن الوصول إلى أهدافها ..

الأخطر من ذلك كله أن بعض الأسلحة الفعالة التى يستخدمها الجسم للدفاع عن نفسه والمنطلقة من غدة حيوية تتعرض للضعف الشديد نتيجة لإصابة هذه الغدة بالتقلص عند حدوث أزمات نفسية خطيرة ، وذلك يفسر احتمالات تحول الخلايا السليمة إلى «سرطانية» فى غيبة النشاط الطبيعى لجهاز المناعة.

وصدق رسول الله ﷺ الذى أوصانا بعدم الغضب.

ومن هنا تظهر الحكمة العلمية والعملية فى تكرار الرسول ﷺ توصيته بعدم الغضب.

عدم إكراه المريض على تناول الطعام :

قال ﷺ :

«لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ؛ فإن الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم» (٣٤).

لقد وضح لعلماء الطب اليوم مدى الإعجاز العلمى فى التوجيه النبوى الشريف

(٣٤) رواه الترمذى وابن ماجه.

بعدم إكراه المريض على تناول الطعام والشراب لاشتغال أجهزته الحيوية بمجاهدة المرض وبالتالى سقوط شهوته أو نقصانها.

وفى قوله ﷺ: «فإن الله يطعمهم ويسقيهم» معنى لطيف زائد على ماذكره الأطباء لايعرفه إلا من له عناية بأحكام القلوب والأرواح وتأثيرها فى طبيعة البدن، فالنفس إذا حدث لها مايشغلها من محبوب أو مكروه اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب فلا تحس بجوع ولاعطش، بل ولاحر ولابرد، بل تشتغل به عن الإحساس بالمؤلم الشديد فلا تحس به.. وإذا اشتغلت النفس بما دهمها وورد عليها لم تحس بألم الجوع (٣٥).

فعندما يمرض الإنسان يصاب بفقدان الشهية والامتناع عن الطعام، وهذه الظاهرة المرضية ليست مقصورة على الإنسان وحده، بل نراها فى الحيوانات التى يعرف أصحابها وجود المرض بها من امتناعها عن الطعام، كما يعرفون شفاءها عندما تعود لتناول طعامها.

ولقد ثبت أن فقدان الشهيه يحدث نتيجة الاضطرابات فى الأجهزة الحيوية للمريض، ولاسيما المتصلة بجهازه الهضمى، كاضطراب أنزيماته وعصاراته الهاضمة؛ ولذلك كان الامتناع عن الطعام ضرورة...

ومن هنا كان فقدان الشهية ميزة عظيمة لهؤلاء المرضى.. ولذلك أمرنا الرسول ﷺ بألا نكره مرضانا على الطعام كما ذكر فى الحديث الشريف الذى نحن بصدده.

البدانة:

قال ﷺ:

«ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (٣٦).

---

(٣٥) الطب النبوى: ابن قيم الجوزية (بتصرف).

(٣٦) رواه الإمام أحمد والترمذى وغيرهما.

وقوله : «المعدة بيت الداء» .

قد توصل العلم إلى أن السمنة من الناحية الصحية تعتبر خللا فى التمثيل الغذائى، وذلك يرجع إلى تراكم الشحوم أو اضطراب الغدد الصماء.. والوراثة ليس لها دور كبير فى السمنة كما يعتقد البعض.

وقد أكدت البحوث العلمية أن للبدانة عواقب وخيمة على جسم الإنسان ــ وقد أصدرت إحدى شركات التأمين الأمريكية إحصائية تقرر أنه كلما طالت خطوط حزام البطن قصرت خطوط العمر، فالرجال الذين يزيد محيط بطونهم أكثر من محيط صدورهم يموتون بنسبة أكبر.

كما أثبتت البحوث أيضاً أن مرض البول السكرى يصيب الشخص البدين غالباً أكثر من العادى، كما أن البدانة تؤثر فى أجهزة الجسم وبالذات القلب، حيث تحل الدهون محل بعض خلايا عضلة القلب مما يؤثر بصورة مباشرة على وظيفته .

وصدق رسول الله ﷺ حين حذر من السمنة والتخمة فقال : «المعدة بيت الداء» وحذرت تلك البحوث من استخدام العقاقير لإنقاص الوزن لما تسببه من أضرار.

وأشارت إلى أن العلاج الأمثل للبدانة والوقاية منها هو اتباع ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى بعدم الإسراف فى تناول الطعام، واتباع سنة رسول الله ﷺ فى تناول الطعام كما أوضح الحديث الذى نحن بصدده.. وجاء تطبيقاً لقوله تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣٧) .

وبهذا سبق الإسلام العلم الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنا إلى أهمية التوازن فى تناول الطعام والشراب، وحذر من أخطار الإسراف فيهما على صحة الإنسان .

---

(٣٧) سورة الأعراف : ٣١.

الفصل الثانى

علوم الطب
(ب)

- الختان
- الوطء فى الدبر
- اللواط
- الزنى
- الجماع فى الحيض
- تحديد النسل
- مرض الكلب

الختان [1] :

قال ﷺ :

« الختان سنّة للرجال مكرمة للنساء » (٢) .

وقوله : « الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط » (٣) .

كشف العلم الحديث أن عدم الختان بالنسبة للذكور له مضاعفات منها : أن الإفرازات قد تتجمع خلف القلفة مما يؤدى إلى الالتهابات المزمنة فى الحشفة .. وإلى تكوين أنسجة ليفية من شأنها أن تؤدى إلى ضيق فتحة البول ، مما قد يؤدى بالتالى إلى احتباس البول (٤) .

وهذا نادر الحدوث جداً عند المختونين ، فى حين أنه موجود عند غيرهم ممن لا يختتنون .

ومن ناحية أخرى فقد وجد أن سرطان القضيب من أسبابه عدم الختان ؛ ولذلك فهو من النادر حدوثه عند المسلمين واليهود الذين يقومون بعملية الختان فى سن مبكرة .

---

(١) يقول بعض العلماء : إن الختان هو من الكلمات التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام وذلك فى تفسيرهم لقوله تعالى : (**وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن**) سورة البقرة : ١٢٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) الختان بين الطب والدين : م . س ببور الدمشرة : مجلة العلم والإيمان ١٩٧٧ .

ومن أعراض عدم الختان ظهور صديد مدمم تحت القلفة.. وعندما يقوم الطبيب برفع القلفة يجد أن هناك قرحة سميكة القوام، حيث تجد الجراثيم فى التواءات القلفة وتعاريجها ملاجىء تساعدها على الاختفاء والنمو فيها.

فى حين أنه فى حالة الختان يسهل غسل عضو التناسل وتنظيفه جيداً، وبالتالى يمنع تسرب الجراثيم المرضية لأعضاء تناسل المرأة؛ حيث إن مجامعة المختون المعتنى بالطهارة المطلوبة لا ينشأ عنها انتقال جراثيم منه لزوجته...

وبهذا تكون زوجته مصونة من حدوث التهابات مهبلية ورحمية ومبيضية وغيرها... مما يجعل الزوج والزوجة منعمين بصحة جيدة مدة حياتهما، فضلاً عن أن الاتصال الجنسى يضطر الرجل غير المختون إلى رفع الغلفة لدى كل مواقعة جنسية، وفى ذلك مشقة أيضاً لا تنكر... وإذا تكاسل عن رفعها وظلت منسدلة عاقت خروج المنى واندفاعه بالقوة الطبيعية المطلوبة لإيصاله لفوهة الرحم، وفى ذلك ما يعوق العلوق والحمل.

يضاف إلى ذلك أن الجراثيم التى تكمن فى الغلفة تنتهز الفرصة أثناء الاتصال الجنسى، فتدخل للمهبل والرحم والمبيض وتعشش فيها، مما يؤدى إلى تأخر الحمل، بل إلى العقم أيضاً..

وذلك مما يؤثر فى المرأة تأثيراً كلياً يؤدى إلى ضعف أعصابها العام ويسبب لها ما يسمى بـ «النوراستينيا».

أما بالنسبة للأنثى... فتعتبر أكثر المناطق حساسية بالنسبة إليها هى البظر(٥). والشفران الصغيران... وفى حالة الختان يتم تهذيب هذه الزوائد؛ ولذلك قد أمر رسول الله ﷺ بعدم المبالغة والترفق بالإناث فى ختانهن من ذلك قوله لأم عطية(٦):

---

(٥) البظر فى المرأة يقابل القضيب فى الرجل إلا أن حجمه صغير جداً ولا تخترقه قناة مجرى البول.. والبظر عضو حساس جداً مثل حشفة القضيب وهو عضو انتصابى كذلك. (مرجع خلق الإنسان: د. محمد على البار).

(٦) امرأة كانت تختن بالمدينة.

«يا أم عطية أشمى ولا تنكهى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج» (٧) ولا يخفى ما فى الحديث الشريف من الإشارة الصريحة إلى تحاشى ما يؤدى إلى البرود الجنسى عند المرأة، وذلك بسبب المبالغة فى عملية ختان الإناث، ولا يخفى أن المكرمة أمر اعتبارى يختلف باختلاف البيئة وظروفها وأحوالها... فهو فى البلاد الحارة غيره فى البلاد الباردة أو عند قوم آخرين، والشيء المبهر حقاً بل والمثير للإعجاب أن النبى ﷺ قد رسم حدوداً جراحية للختان فيما يتعلق بالإناث، بحيث ينأى بها عن المضاعفات التى تترتب على عملية الختان على أيدى من كن يقمن بها من الجاهلات، وما يحدث فى بعض البلدان (٨) التى تسمى «بالخفاض الفرعونى» والتى أثبت الطب ضررها.. سبق أن نهى عنها ﷺ لما تؤدى إليه من عدم الانسجام فى الحياة الزوجية؛ لما يعترى المرأة من برود جنسى.

وهكذا نرى أن الإسلام قد سبق الطب الحديث فى حكمة الختان وطريقته لدى الرجال والإناث بما ينفعهم ويحفظ حيويتهم.

الوطء فى الدبر:

قال ﷺ:

«لا تأتوا النساء فى أعجازهن، فإن الله لا يستحى من الحق» (٩).

أثبت الطب الحديث أن إتيان المرأة فى دبرها يضرها ضرراً بالغاً حيث يفوت حقها على زوجها فى النكاح والاستمتاع الذى لا يحققه وطؤها فى دبرها...

كما أن الوطء فى الدبر يضر بالرجل أيضاً، ذلك أن للفرج عضلات قادرة على اعتصار قضيب الرجل المنتصب، والعمل على الإنزال الكامل للمنى، فإذا لم يتم الإنزال الكامل ــ كما يحدث عندما يطأ الرجل زوجته فى دبرها ــ فإنه يحدث احتقان شديد فى غدة البروستاتا والأعضاء التناسلية الأخرى، مما يسبب آلاماً شديدة فى منطقة العجان والخصيتين، ناهيك عن سرعة القذف وضعف

(٧) أورده البخارى فى كتاب الأدب المقرر.

(٨) كبلاد النوبة والسودان.

(٩) رواه الترمذى.

الانتصاب الذى يسببه الاحتقان المزمن ، فى حين أن الأمر غير ذلك عند إتيان المرأة فى فرجها ، حيث إن المهبل يفرز سائلاً يساعد على تشحيم الفرج والمهبل معاً ، مما يساعد على عملية الإيلاج » (١٠) .

وفى الواقع أن كل أجزاء الجهاز التناسلى الأنثوى لها دورها الفعال فى عملية الجماع ، فحينما يحدث الاحتكاك بين قضيب الرجل وفرج المرأة تنطلق النبضات Impulses من نهايات عصبية منتشرة فى الغشاء المخاطى المبطن للمهبل Vaginal Mucosa وكذلك فى البظر Clitoris تنطلق هذه النبضات إلى الجهاز العصبى المركزى ، فيرسل إشاراته ــ بالتالى ــ ليتحقق الاستمتاع المنشود (١١) .

علاوة على ذلك فإن استقبال الرجل للدبر بوجهه ثم ملامسته يوجد النفرة والتباغض الشديدين ، والتقاطع بين الزوج وزوجته وغير ذلك من آثار نفسية سيئة بالنسبة للرجل والمرأة .

من هنا كان نهى الرسول ﷺ عن ذلك مما يعد إثباتاً علمياً فى مضمون حديثه الشريف .

اللـواط

قال ﷺ :

« إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط » (١٢) .

إلى جانب الأضرار الاجتماعية كفساد المجتمع بتفشى الرذيلة ، وسريان الانحلال بين الناس ... فقد أثبت العلم الحديث أن هناك أضراراً طبية محققة مثل الورم الليفى التناسلى Lympho granulama venereal الذى ينتشر بصورة كبيرة بين اللواطيين ... ويظهر هذا المرض على صورة قرح تنتشر فى الأعضاء التناسلية لا سيما القضيب وفتحة الشرج .

كما يحدث تضخم واضح فى الغدد الليمفاوية المجاورة ، وقد تمتلىء هذه الغدد

---

(١٠) نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية : د . محمد عبد المنعم عبد العال (بتصرف) .

(١١) oliven . Y. F (1974).

(١٢) رواه ابن ماجه والترمذى .

بالصديد فتتكون فيها خراريج صغيرة سرعان ما تنفجر فتتكون جيوب Sinuses ويصحب ذلك عادة ارتفاع في درجة الحرارة، وغثيان وآلام بالمفاصل، وصداع شديد... فإذا تفاقم المرض حدث تورم كبير في الأعضاء التناسلية الخارجية لكل من الذكر والأنثى، ويحدث هذا التورم عادة نتيجة انسداد في الأوعية الليمفاوية بسبب الالتهاب المزمن الذي أصابها (١٣).

وفي اللواطيين –خاصة السلبي منهم– يصاب الشرج غالباً، فيحدث به التهاب شديد يؤدي إلى إفرازات صديدية وقرح كثيرة.... وفي النهاية يحدث ضيق شديد Stricture في فتحة الشرج ينتج عنه زيادة في الإفرازات الصديدية، مع نزف دموي من الشرج، مما يسبب انسداداً كاملاً في فتحة الشرج.

وقد يصاب المريض نتيجة هذا بأورام خبيثة في الأعضاء التناسلية لا سيما سرطان المستقيم.

ولا يقتصر الضرر الذي يسببه اللواط على نقل الأمراض التناسلية والجنسية. ولكن ثبت أن هناك علاقة وطيدة بين اللواط وبين التهاب الكبد الوبائي، ذلك أن التهاب الكبد الوبائي الذي يسببه فيروس (ب) الذي ينتقل أثناء ممارسة اللواط لا سيما في اللواطي السالب الذي يصل إليه المرض عن طريق اللواطي الإيجابي (١٤).

وقد أثبتت الدراسات أن هذا الفيروس المسبب لالتهاب الكبد الوبائي يكون موجوداً في اللواطيين بنسبة ٥٪ في إنجلترا، في حين أن نسبته في المصابين عن طريق الحقن ونقل الدم لا تتجاوز ٠,٢٪ أي أن نسبة الفيروس (ب) في اللواطيين تزيد عنها في الآخرين بمقدار خمسة وعشرين مرة (١٥).

واللواط بجانب ذلك يسبب اختلالاً كبيراً في توازن عقل الشخص، وارتباكاً عاماً في تفكيره، وركوداً غريباً في تصوراته، وضعفاً شديداً في إرادته، وإن ذلك

---

(١٣) نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية (بتصرف).
(١٤) المرجع السابق.
(١٥) المرجع السابق.

ليرجع إلى قلة الإفرازات الداخلية التى تفرزها الغدة الدرقية ، والغدد فوق الكلى وغيرها ، مما يتأثر باللواط تأثراً مباشراً .

ومن شأن اللواطة أن تصرف الرجل عن المرأة ، وقد يبلغ به الأمر إلى حد العجز عن مباشرتها ، وبذلك تتعطل أهم وظيفة من وظائف الزواج ، وهى إيجاد النسل ، ولو قدر لمثل هذا الرجل أن يتزوج ، فإن زوجته تكون ضحية من الضحايا ، فلا تظفر بالسكينة ولا بالمودة ، فتقضى حياتها معذبة معلقة لا هى متزوجة ولا مطلقة (١٦) .

ومن الأضرار التى يسببها اللواط الانعكاس النفسى فى خلق الفرد ، فيشعر فى صميم نفسه بأنه ما خلق ليكون رجلاً ، وينقلب الشعور إلى شذوذ به ، فيشعر بميل إلى بنى جنسه ، وتتجه أفكاره الخبيثة إلى أعضائهم التناسلية ، ولقد أثبتت كتب الطب كثيراً من الوقائع الغريبة التى تتعلق بهذا الشذوذ مما لا يتسع المجال هنا لذكرها .

ولا يقتصر الأمر على إصابة اللائط بالانعكاس النفسى ، بل هناك ما تسببه هذه الفاحشة من إضعاف القوى النفسية الطبيعية فى الشخص كذلك ، وما تحدثه من جعله عرضة للإصابة بأمراض عصبية شاذة ، وعلل نفسية شديدة تفقده لذة الحياة .

وغير ذلك من الآثار الضارة سواء فى الجانب النفسى الاجتماعى أو فى الجانب العضوى ، وذلك مما يعطينا دلالة علمية فى الحديث الشريف الذى نحن بصدده .

كما أن اللواط يصيب صاحبه بمرض أطلق عليه الأطباء إسم مرض « الإيدز » (١٧) وهو مرض يفقد الجسم مناعته .

---

(١٦) الإسلام والطب : د . محمد وصفى .

(١٧) عن هذا المرض الذى يسببه الشذوذ الجنسى يقول الدكتور محمد صادق صبور رئيس قسم الأمراض الباطنية بجامعة عين شمس : لقد اكتشف هذا المرض اللعين فى شهر مايو عام ١٩٨١ فقد نشر طبيب أمريكى فى إحدى المجلات الطبية الأمريكية تقريراً عن ١٢ مريضاً مصابين بالتهاب رئوى ، وأن هؤلاء المرضى فقدوا المناعة تماماً ، وصاروا عرضة للميكروبات تهاجم فى جميع =

وتوجد حقيقة علمية تؤكدها الأبحاث والإحصاءات هى أن أغلب المرضى فى أمريكا وغرب أوروبا من الشواذ جنسياً، ويقدرون بحوالى ٧٥٪ من المرضى الحاملين لفيروس الإيدز، وتكثر الإصابة فى الشاذ السالب المفعول فيه عنها فى الشاذ الموجب الفاعل.

وهذا ما تخوف منه الرسول ﷺ.

وها نحن نرى عقوبة المولى عز وجل لمن يمارسون الشذوذ الجنسى بفقدان المناعة، ومن ثم بالموت العاجل.. برغم أن القرآن الكريم قد ذكرنا بأن الله أهلك قوم لوط بسبب ممارستهم لتلك الفاحشة.. ولكن هل من مدكر؟



الزنى:

قال ﷺ:

«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن .....» (١٨).

وقال:

«إذا ظهر الزنى والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» (١٩).

عندما حرم الإسلام الزنى تحريماً قطعياً فذلك لأضراره البالغة سواء العضوية أو النفسية والاجتماعية... فلقد ثبت علمياً أن اقتراف الزنى يؤدى إلى انتقال وانتشار أمراض خطيرة مثل السيلان والزهرى وآخرها اكتشافاً وأكثرها ضرراً هو الإيدز (٢٠)...

= أجزاء الجسم.. هذا ولم يسبق وصف مثل هذا المرض من قبل وسمى المرض بـ«نقص المناعة المكتسبة لأنهم لم يولدوا بنقص فى المناعة.. وقد لوحظ أن هؤلاء المرضى جميعاً كانوا شباباً أصحاء وأنهم جميعاً من الشواذ جنسياً ممن يمارسون اللواط.. وفى نفس العام نشرت المجلات الأمريكية عن حالات مشابهة فى ولايتى سان فرانسسكو ونيويورك وغيرهما من الولايات المتحدة الأمريكية.

(١٨) رواه البخارى ومسلم.

(١٩) رواه الحاكم.

(٢٠) مرض نقص المناعة المكتسبة.

والسيلان من أهم أعراضه ظهور إفرازات جنسية من الأعضاء الخارجية تؤدى إلى التهاب جميع أجزاء الجهاز التناسلى فى الرجل (غدة كوبر أو غدة البروستاتا أو الأوعية الناقلة للحيوانات المنوية وغيرها) أو فى المرأة (التهاب أقاع فالوب والمبايض) وغالباً مايؤدى إلى العقم .... كما قد ينتشر الالتهاب فى سائر أجزاء الجسم مثل التهاب المفاصل أو الالتهاب السحائى أو التهاب فى عضلات القلب قد يؤدى إلى هبوط وظائفه.

ومن تلك الأمراض أيضاً مرض الزهرى الذى من أعراضه القرحة والتورم على أعضاء التناسل أو الشفة أو اللسان أو الجفن .. وظهور البقع فى أنحاء الجسم.

ويسبب هذا المرض الخطير الشلل والعمى وتصلب الشرايين والتشوهات الجسمية .. وقد يتعدى هذا المرض إلى الزوجة والأولاد .. إذ يعتبر من الأمراض السارية بالعدوى من لمس ولعاب.

كما أنه يؤثر على الجهاز العصبى فيؤدى إلى تآكل « باراتشيا » المخ واضطراب الأعصاب الحسية والمفاصل ، فضلاً عن إمكان الإصابة بمرض « الإيدز » كما سبق أن أشرنا.

ولقد أخبرنا الرسول ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أن الفاحشة إذا ظهرت فى قوم ابتلاهم الله بالأوجاع والأمراض التى لم تكن فى أسلافهم حيث قال :

« يا معشر المهاجرين : خمس خصال إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن » .. وذكر منها : « .... ولم تظهر الفاحشة فى قوم قط يعمل بها علانية إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم » (٢١).

ولم تقف أضرار الزنى عند هذا الحد بل تتعداها إلى أضرار اجتماعية ونفسية ، يكفى الزنى ضرراً وخطراً أنه يؤدى إلى اختلاط الأنساب وضياع النسل ، وتفسخ المجتمع وتفكك وحدة الأسرة ، والانطلاق فى حمأة الرذيلة والفساد ، كما أثبتت البحوث والدراسات الاجتماعية .....

---

(٢١) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى.

فما قيمة مجتمع اندثرت أخلاقه، وضاع حياؤه وتهدم كيانه واعتباره؟

وما قيمة مجتمع استبدت به شهواته واستحوذت عليه غرائزه، فلا يعرف هماً سوى الجنس واللذة المحرمة، ولا غاية له سوى الغريزة والشهوة الهابطة؟ (٢٢). وهذا ما نراه أو نسمع عنه في مجتمعات معاصرة قد تفسخت قيمها؛ فأطلقت لنفسها العنان في الرذيلة واقتراف الفاحشة... قد أمهل الله بعضها علها تعود إلى رشدها وأخذ بعضها الآخر بعد أن استفحل فيها الفسق والفساد كما أخبرنا سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (٢٣).

وهكذا أثبتت الشواهد في واقعنا الحاضر عمق النظرة التحليلية لرسولنا ﷺ حين قال: «إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» مؤكداً على قوله الله تعالى في الآية التي نحن بصددها... وحسبنا ذلك حكمة وعلماً أتى به الإسلام على لسان رسوله الكريم.

الجماع في الحيض (٢٤):

قال ﷺ:

«إن اليهود كانت إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يجامعوها»... فسأل أصحاب رسول الله ﷺ: ما يصنعون؟.... فقال: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» (٢٥).

فلقد أثبت العلم الحديث «أن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل في أثناء

---

(٢٢) تربية الأولاد في الإسلام: الجزء الأول: عبد الله ناصح علوان (بتصرف).

(٢٣) سورة الإسراء: ١٦.

(٢٤) سبق أن تناولنا ذلك في موضع سابق من الكتاب في فصل الطب الوقائي في القرآن.. وأوردناه هنا في الإعجاز العلمي في السنة للحفاظ على الوحدة الموضوعية لما نحن بصدده؛ ولذا ننوه بالرجوع إليه أيضاً.

(٢٥) رواه مسلم.

الحيض ، ليس إلا إدخالا للميكروبات فى وقت لاتستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقاوم .

كما أن وجود الدم فى المهبل والرحم يساعد على نمو تلك الميكروبات وتكاثرها .

فمن المقرر علمياً أن على جلد القضيب ميكروبات عديدة ... ولكن المواد المطهرة والإفراز الحامض للمهبل تقتلها أثناء الطهر.. أما أثناء الحيض فأجهزة الدفاع تكون مشلولة وغير قادرة على أداء مهامها ، والبيئة صالحة لتكاثر الميكروبات ، هذا بالإضافة إلى الأضرار التالية :

● امتداد الالتهابات إلى قناتى الرحم فتسدهما أو تؤثر على شعيراتها الداخلية التى لها دور كبير فى دفع البويضة من المبيض إلى الرحم ، مما يؤدى إلى العقم أو إلى الحمل خارج الرحم .. وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق .

● امتداد الالتهاب إلى قناة مجرى البول ، فالمثانة ، فالحالبين ، فالكلى مما يسبب أمراضاً خطيرة ومزمنة فى الجهاز البولى .

● يصاحب الحيض آلام وأوجاع فى أسفل الظهر وأسفل البطن ، مما يجعل الجماع غير مناسب بالنسبة للمرأة .

● إصابة كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض ، وخاصة عند بدايته ، فتكون المرأة عادة متقلبة المزاج ، سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال .. وهذا يتنافى مع الحالة النفسية التى ينبغى أن تكون عليها المرأة أثناء الاتصال الجنسى .. مما يقلل الرغبة الجنسية لدى المرأة التى ينبغى مراعاتها من جانب الزوج .

ولا يقتصر الأذى على الحائض فى جماعها .. وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذى وطئها أيضاً ؛ حيث إن إدخال القضيب إلى المهبل المليء بالدماء يؤدى إلى تكاثر الميكروبات والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل .

● إن الجماع أثناء الحيض قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم ... فضلاً عن الآلام المبرحة التى تفوق ما قد ينتج عن ذلك الالتهاب من عقم .

● تزداد شراسة الميكروبات فى دم الحيض، وخاصة ميكروب السيلان.. وقد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية وذلك مروراً من قناة مجرى البول بعد الاتصال الجنسى بالحائض (٢٦).

هذا موجز للأذى الذى يصيب كلاً من الرجل والمرأة، فضلاً عما سبق أن ذكرناه فى موضع آخر حين تعرضنا للإعجاز العلمى فى الآية القرآنية:

٢٧

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾

ومن هذا وذاك يتبين لنا الإعجاز العلمى فى الإسلام، سواء ماجاء فى القرآن أو السنة من منعه للاتصال الجنسى فى فترة الحيض، وإذا كان لابد من الاستمتاع بالزوجة أثناء الحيض فيشترط أن يكون ذلك فوق الإزار إذا وثق الزوج من نفسه أنه لايتعدى الحدود (٢٨).

فى ذلك يتجلى الإحساس النفسى للإسلام وواقعيته فى معالجته لأدق الأمور التى تعترض الرجل والمرأة فى حياتها الجنسية.. وهو ماقرره العلم الحديث بعد بحوثه التجريبية التى أجراها مؤخراً، بالإضافة إلى ماأكدته التقارير العلمية فيما يتصل بالأضرار العضوية والفسيولوچية.

من هنا عد منع الجماع أثناء الحيض منذ أربعة عشر قرناً إعجازاً علمياً بعد كشف الأضرار التى تنتج عنه كما استعرضنا آنفاً.

تحديد النسل:

قال ﷺ:

«تزوجوا الودود الولود» (٢٩).

---

(٢٦) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد على الباز (بتصرف).

(٢٧) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢٨) كما أن الاستمتاع بالحائض فوق السرة ودون الركبة مباح بلا خوف عند الفقهاء، ولكن الخلاف ينشأ فى الاستمتاع فيما دون السرة وفوق الركبة دون الفرج وذلك لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

(٢٩) رواه أبوداود والنسائى (هذا الحديث يدعو بصورة غير مباشرة إلى عدم تحديد النسل أو ماشابه ذلك).

ثبت علمياً أن استخدام أى نوع من وسائل تحديد النسل يعود بآثار وخيمة على الحالة الصحية للأم.... فالجهاز التناسلى للمرأة يهيمن على وظيفة مجموعة من هرمونات التناسل تفرز من الفص الأمامى للغدة النخامية والمبيض.
وفى الحالة الطبيعية تفرز هذه الهرمونات (٣٠) بنسب مقدرة ومعينة، بحيث إذا حدث فيها أى زيادة أو نقص أدى ذلك إلى حدوث حالة مرضية.

ومن هنا تعترف الأوساط الطبية بأن الوسائل المستخدمة لمنع الحمل لها أضرار على من يتعاطونها، وذلك نتيجة أبحاث كثيرة خرجت بهذه النتائج:

- اختلال فى التوازن الهرمونى بالجسم.
- زيادة وزن الجسم وتجمع كميات كبيرة من السوائل به.
- حدوث التهابات شديدة بالجهاز التناسلى للأم.
- زيادة احتمالات التعرض للنوبات القلبية المميتة لمن تجاوزن الثلاثين من العمر، ولا سيما من تخطين الأربعين.

وقد نقلت وكالات الأنباء خبر موت إحدى السيدات البريطانيات نتيجة تعاطيها لحبوب منع الحمل، فقد ظلت تتناول حبوب «فالدان» طيلة ثمانى سنوات، ثم استبدلت بها صنفاً آخر هو «ميثوكلور» وذلك بتوصية طبية، ومرضت بعد أسابيع مرضاً شديداً مما اضطرها لملازمة الفراش، ثم انهارت صحتها وتوفيت بعد ذلك.

- ثبت أخيراً أن استعمال موانع الحمل، ولا سيا الحبوب، قد يؤدى إلى حدوث بعض الحالات السرطانية (٣١).

ولكن الذى نهى عنه الرسول ﷺ هو إرضاع الطفل إذا حملت أمه.. لأن ذلك يؤثر على الرضيع تأثيراً سيئاً، مما يجعله ضعيف البنية.. ولو تأملنا هذا الهدى النبوى لوجدنا المسافة بين الحمل والآخر تستغرق ثلاث سنوات.. ولا سيا إذا رجعنا لقوله تعالى:

---

(٣٠) الفكرة التى استخدمها علماء فسيولوجيا التناسل والكيمياء الحيوية فى اختراع موانع الحمل هى مبنية أساساً على معرفة طبيعة عمل الهرمونات والتحكم فى إفرازها بصورة أو بأخرى (د. عزت أبوالفتوح من مقال منشور بمجلة الوعى الإسلامى عدد سبتمبر ١٩٨٤).

(٣١) مجلة العربى فى عددها ٢١١.

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾(٣٢).

ومن ذلك نجد أن تنظيم النسل وإعطاء الفرصة للأم لاستعادة صحتها، أمر يدعو إليه الدين، وهذا بخلاف منع الحمل بصورة مطلقة.

الغريب أن معظم البلدان الإسلامية تكتسحها دعوة تحديد النسل بحجة مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية، وترصد لهذه الحملة أموالاً طائلة كان من الممكن توظيفها فى مشاريع اقتصادية واجتماعية أكثر جدوى.

فتؤكد التقارير السرية فى أحد البلدان العربية أن ما يصرف على إنجاح حملة تحديد النسل فى عام واحد من سيارات وأطباء وممرضين وممرضات وأدوية، ومهمات وعمليات جراحية ومستشفيات وغيرها، يكفى لرعاية أكثر من مليون طفل، فى حين أن زيادة الأطفال فى البلد لا تتجاوز ربع مليون طفل (٣٣).

ثم إن فى البلاد الإسلامية أقطاراً فيها المشروعات ومجالات العمل، وليس فيها العمال، مما يضطرها لاستيراد العمالة من خارج البلاد، حتى من آسيا وأوربا لتنفيذ العمران فى هذه الأقطار.

وهناك أقطار أخرى فيها زيادة سكانية تئن منها. ولا تملك رأس المال لبناء المشروعات التى تتسع لهؤلاء، أو إيجاد أعمال لهم تعود عليهم وعلى الوطن بالنفع، فماذا لو استفاد هؤلاء من سكان أولئك ليستمر الإخاء الإنسانى، فضلاً عن ذلك كله فإن الثروة البشرية هى أساس التقدم والرقى لو أحسن استغلالها، بدلاً من التذرع بعدم وجود الإمكانات المتاحة.

وهذا ما أثبتته (٣٤) تجارب الحياة اليومية من واقع البلدان المتحضرة الغنية كاليابان وغيرها.

---

(٣٢) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٣٣) أفضل وسيلة لتنظيم النسل هى ملاحظة الدورة الشهرية وتجنب الاتصال الجنسى فى الفترة التى تكون فيها الخصوبة أكثر ما يمكن ــ وهو اليوم السابع عشر ــ وتستمر قابلة للإخصاب لمدة أسبوع، فإذا اعتزل الرجل امرأته فى هذه الفترة كان ذلك مانعاً للحمل، ويسمى ذلك اعتزالاً تفرقة بينه وبين العزل.

(٣٤) مجلة الأمة: خواطر وأفكار: محمد الصالح عزيز (عدد يونيو ١٩٨٥).

ومن هنا كانت أهمية النسل البشرى الذى يتأتى من المرأة الودود الولود كما أخبرنا الرسول ﷺ.

مرض الكلب:

قال ﷺ :

« إذا شرب الكلب من إناء أحدكم فليغسله سبعاً » (٣٥).

وقوله : « إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب » (٣٦).

قد أفاض العلماء حديثاً عن أضرار الكلب الكثيرة... وهذا مما يؤيد قول رسول الله ﷺ فى عدم استعمال الماء الذى شرب منه الكلب أو ولغ فيه.. وذلك بعد أن قررت الأبحاث العلمية أن الكلب ينقل إلى الإنسان كثيراً من الأمراض... منها الجرب، ومنها داء الكَلَب وهو داء خطير.

ومنها المرض الشديد الخطورة المسمى « كسيت ايداتيك ».. هذا المرض الذى يتولد بدخول بيوض الدودة المسماة «تيتا اكنياكوكس». وتوجد هذه الدودة بكثرة فى أمعاء الكلب، يزرعها فى كل ناحية بواسطة برازه فى البيوت، وفى كل مكان يتردد عليه (٣٧).

وينتقل هذا المرض إلى الإنسان بلمس الكلب وعاء الطعام أو بشربه من إناء الماء ؛ لأن أنف الكلب وفمه وما حوله منابع الداء.

وقد أظهرت الدراسات الوبائية والحيوانية مدى خطورة لعاب الكلب الذى يؤدى إلى الفتك بالإنسان، ويعتبر هذا المرض القاتل من الأمراض المتوطنة فى البلاد التى تحرص على اقتناء الكلاب، الأمر الذى نهى الرسول ﷺ عنه فى قوله :

---

(٣٥) رواه البخارى ومسلم.

(٣٦) رواه البخارى ومسلم.

(٣٧) القاموس الطبى (لاروس مديكال).

«لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها».

وتأتي العدوى من الكلب عند ملاطفته أو مداعبته دون الاهتمام بحماية الجلد من لعابه .. ويقدّر عدد من يموتون فى الهند وحدها نتيجة لمرض الكلب بأكثر من خمسة عشر ألفاً سنوياً .... فى حين تصل الوفيات فى سيرلانكا إلى حوالى ثلاثين شخصاً من كل مليون نسمة من مجموع السكان... وفى الفلبين اثنى عشر من كل مليون نسمة....... ويقدر من يتعرض إلى الإصابة نتيجة العض أو الخدوش بالملايين، حيث يتقدم منهم سنوياً طلباً للتطعيم أكثر من ثلاثة ملايين شخص (٣٨).

ومن ذلك يتبين حكمة الإسلام فى النهى عن اقتناء الكلب، إلا لأغراض محدودة كحراسة أو صيد.

وقد ثبت علمياً أن جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجماً لا تسلم من الإصابة بالدودة الشريطية التى تتعداها إلى الإنسان، وتصيبه بأمراض عضال قد تؤدى إلى وفاته، وقد لوحظ فى إقليم فرزلند بهولندا حيث تستخدم الكلاب فى الجر... أن فى كل مائة منها اثنتى عشرة إصابة.

ووجد فى أيرلندا أن فى كل ٤٢ شخصاً من أهاليها يوجد شخص مصاب بهذه الآفة.

وشوهد أن هذه النسبة تزيد فى أستراليا، إذ ثبت وجود شخص من كل ٣٩ شخصاً من سكانها مصاب بها.... وقد تبين الإعجاز العلمى فى الحث على استعمال التراب فى إحدى المرات السبع؛ فقد ثبت أن التراب عامل كبير على إزالة البويضات والجراثيم، وكذلك لأن ذرات التراب تندمج معها فتسهل إزالتها جميعاً.. كما قد يحتوى التراب على مواد قاتلة لهذه البويضات.. ومن الأمراض التى ينقلها الكلب أيضاً للإنسان «داء اليرقات الهاجرة الجلدى».. وهو عبارة عن طفح جلدى تسببه يرقات تعيش فى أمعاء القطط والكلاب.. منها الديدان البرازيلية Ankylostoma braziliense.

---

(٣٨) اللعاب القاتل: د. السيد سلامة السقا (منار الإسلام مارس ١٩٨٦) بتصرف.

تخوف .. وبدا لى الطريق واضحاً ذلولاً .. وتجلى أمامى قوله تعالى مهدهدا مطمئناً :

ويرافق هجرة اليرقات داخل الجلد ظهور حكة شديدة قد تؤدى إلى خدوش ينجم عنها التهاب جلدى جرثومى » (٣٩) .

كذا داء الديدان القوسية Toxocariasis، أو داء اليرقان الهاجرة الحشوى Visceral Larva Migrant

وهذه تسبب ضخامة فى الكبد والطحال ، وتحدث آلاماً وأوراماً حبيبية جلدية والتهابات رئوية ، وقد تنتهى الحياة بقصور التنفس .

وداء ويل النزفى اليرقانى Weils disease ومن أهم أعراضه الضعف العام والقيء والنزف من الجلد ، أو الأغشية المخاطية .

هذا فضلاً عن التعرض للدوسنتاريا والتيفويد والإسهالات وغيرها من الأمراض الأخرى المعروفة لدى المتخصصين فى الأمراض الوبائية .

وهكذا تنكشف لنا زاوية جديدة من نواحى الإعجاز العلمى فى هدى النبوة الشريفة ، من تحذير الرسول ﷺ من ولوغ الكلب فى الإناء ، كشف العلم عنه بعد قرابة أربعة عشر قرناً .

---

(٣٩) المضار الصحية لاقتناء الكلاب : د. هشام إبراهيم الخطيب (الوعى الإسلامى مارس ١٩٨٦) بتصرف .

الفصل الثالث

علوم الطب (ج)

- الوقاية من الأمراض
- لكل داء دواء
- الخبرة قبل مزاولة الطب
- الداء والدواء فى الذباب
- الملاعن الثلاث
- الاستنجاء
- تحديد اختصاصات اليد اليمنى واليد اليسرى
- من سنن الفطرة
- الحجر الصحى
- الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية
- معجزة الصلاة فى الوقاية من أمراض عدة

الوقاية من الأمراض :

قال ﷺ :

«غطوا الإناء، وأوكئوا (١) السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء» (٢) .

لقد أثبت الطب الحديث أن النبى ﷺ هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية، فقد تبين «أن الأمراض المعدية تسرى فى مواسم معينة من السنة، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن.. من أمثلة ذلك : أن الحصبة، وشلل الأطفال، تكثر فى سبتمبر وأكتوبر، والتيفود يكثر فى الصيف.. أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات.. والجدرى كل ثلاث سنين» (٣) .

وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمى فى قول الرسول ﷺ : «إن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء».. أى أوبئة موسمية ولها أوقات معينة.

كما أنه ﷺ قد أشار إلى أهم الطرق للوقاية من الأمراض فى حديثه :

«اتقوا الذر (٤) فإن فيه النسمة» (٥) .

---

(١) أوكئوا : أى شدوا رءوسها بالوكاء، وهو الخيط الذى تشد به القربة ونحوها.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الطب الوقائى فى الإسلام : د. أحمد شوقى الفنجرى.

(٤) الذر : هو الغبار.

(٥) النسمة : الميكروبات.

فمن الحقائق العلمية التى لم تكن معروفة إلا بعد اكتشاف الميكروسكوب، أن بعض الأمراض المعدية تنتقل بالرذاذ عن طريق الجو المحمل بالغبار، والمشار إليه فى الحديث بالذر..

وأن الميكروب يتعلق بذرات الغبار عندما تحملها الريح وتصل بذلك من المريض إلى السليم... وهذه التسمية للميكروب بالنسمة هى أصح تسمية، فقد بين «الفيروز ابادى» فى قاموسه أن النسمة تطلق على أصغر حيوان، ولا يخفى أن الميكروب متصف بالحركة والحياة.. أما تسمية الميكروب بالجرثوم فتسمية لا تنطبق على المسمى لأن جرثومة كل شيء أصله حتى ذرة الخشب(٦) وهذا من المعجزات الطبية التى جاء بها رسول الله ﷺ.

لكل داء دواء:

قال ﷺ:

«ما أنزل الله من داء، إلا أنزل له شفاء» (٧).

لقد سبق الحديث النبوى الشريف العلم الحديث أجيالاً وأجيالاً... فأخبر عن طبيعة الأمراض، وأن لكل مرض علاجه الخاص به.

وهذا ما وصل إليه أو كاد يصل إليه العلم فى الوقت الحاضر.. ذلك العلم الذى لم يضف شيئاً جديداً غير ما أخبر الرسول ﷺ من أن لكل داء دواء.

ومثال ذلك: مرض الجذام، والسل الرئوى، والزهرى وغيرها من الأمراض، كانت قديما فى طى الكتمان، وفى الوقت الحاضر عرفت خبايا تلك الأمراض وغيرها، مما كان غير معروف فيروسه وأسبابه.. مما تسنى فيما بعد وضع العلاج الذى يكاد يشفيها تماماً(٨).

إذن.. فهناك جديد وجديد أخبر به الرسول ﷺ منذ أربعة عشر قرنا، عندما

---

(٦) معجزات فى الطب للنبى ﷺ: د. محمد سعيد السيوطى.

(٧) البخارى ومسلم.

(٨) ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء: د. محمد الظواهرى (مجلة العلم والإيمان عدد ١٨ لعام ١٩٧٧) (بتصرف).

أشار إلى نزول الداء، وإلى نزول الدواء أيضاً، والحقائق العلمية التى توصل إليها العلماء من معرفة بطبيعة الميكروبات والجراثيم ومسببات الأمراض مما لم تكن معروفة.. وبرغم ذلك أشار الرسول ﷺ إلى وجود العلاج الناجع لها.. وهذا ما تؤكده الكشوف والبحوث العلمية يوما بعد يوم عن الوصول إلى جديد فى مجال الطب وعلاج بعض الأمراض التى استعصى شفاؤها زمنا طويلا.. وهكذا مازال العلماء بصدد اكتشافات جديدة لمسببات أمراض يبحثون عن طبيعة فيروسها للقضاء عليه.

والتداوى بصورة عامة سنة نبوية لا تناقض بينه وبين التوكل والإيمان بالقدر، يشهد على ذلك قول الرسول ﷺ وأفعاله:

أما قوله عليه الصلاة والسلام، فقد ورد فى أحاديث كثيرة منها ما ذكرت آنفا... ومنها رده على أحد الأعراب الذى سأله فقال: يارسول الله أنتداوى؟ فقال: «نعم ياعباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد.. قالوا: ما هو؟... قال: الهرم» (٩).

ولقد علق النبى عليه الصلاة والسلام البرء بموافقة الدواء للداء بقوله:

«إذا أصيب دواء الداء برىء بإذن الله عز وجل».

وهذا قدر زائد على مجرد وجود الدواء، فللأدوية مقادير معينة حتى تؤثر فى الأمراض الموافقة لها، وإن زيادة الدواء قد تؤدى إلى ضرر آخر، كما أن نقصانه قد لا يفى بمقاومة المرض، فالأدوية أسباب خلقها الله تعالى وسائل للشفاء من الأمراض، والأخذ بها أخذ بسنة الله فى كونه... فضلا عن ذلك فإن وصفات الرسول عليه الصلاة والسلام الطبية العديدة تشير أيضاً إلى مشروعية التداوى وسنتيه.. كما يشير إلى ذلك إرساله عليه الصلاة والسلام بعض الأطباء إلى بعض أصحابه المرضى، فقد بعث إلى أُبَيّ بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه عليه (١٠).

---

(٩) رواه الإمام أحمد فى مسنده، والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه.

(١٠) رواه مسلم.

وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى أنه قد احتجم فى رأسه من شقيقة كانت به ، كما سبق أن أشرنا فى حينه .

ومما هو جدير بالذكر أن الرسول ﷺ قد أقر استخدام بعض الأدوية التى كانت شائعة فى عصر الجاهلية ، وعدل استخدام بعضها الآخر... وكان اهتمامه بالعسل والأعشاب وبعض الثمار كالتمر ملحوظاً ، كما يدل على ذلك قوله :

« العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم ، والكماة من المن وماؤها شفاء للعين » (١١) . وغير ذلك من أحاديث شريفة تدل على أنه ﷺ كان عالما بقوى الأدوية وتفاوتها فى الدرج ، كما كان له قدرة على تشخيص الداء ووصف العلاج المناسب له .

وهكذا وضع الحديث الشريف قاعدة علمية للأجيال المقبلة بضرورة البحث عن مسببات الأمراض التى مازالت خافية ؛ لأن هناك العلاج لكل داء .. وهذه القاعدة فى حد ذاتها تعد إعجازاً علمياً تثبته الكشوف العلمية حيناً بعد حين !!

الخبرة قبل مزاولة الطب :

وقد حدد الرسول ﷺ قواعد وآداب مزاولة مهنة الطب ؛ لأن تنظيم هذه المزاولة ــ كما هو فى الوقت الحاضر ــ من مهام الدولة .. والرسول ﷺ هو أول مؤسس للدولة الإسلامية ؛ ولذلك نوهت بعض الأحاديث النبوية الشريفة بضرورة أن يكون الممارس لمهنة الطب خبيرا بها ، ويتحلى بآداب هذه المهنة ويتحمل المسئولية الطبية (١٢) .

ولم يفرق الرسول الكريم فى الاستعانة بالأطباء بين طبيب مسلم أو غير مسلم إذا وجدت الخبرة والأمانة ، فكان ــ مثلاً ــ يأمر من كان به علة أن يأتى « الحارث من كلدة » فيسأله عن علته .. وكان « الحارث » طبيبا نصرانيا ..

كما نبه الرسول ﷺ فى التداوى بالرجوع إلى أهل الخبرة بالطب ، وحذر

---

(١١) رواه الترمذى .
(١٢) الطب النبوى فى صدر الإسلام : د . أحمد حلوي (من بحث منشور بمجلة الفيصل عدد أكتوبر ١٩٩١) (بتصرف) .

المدعين بأنهم مسئولون عما ينجم من عواقب وخيمة نتيجة جهلهم أو تعديهم فى معرفة أصول مهنة الطب فيقول:

«من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن» (١٣).

الداء والدواء فى الذباب:

قال ﷺ:

«إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه (كله) ثم لينتزعه، فإن فى إحدى جناحيه داء، وفى الأخرى شفاء» (١٤).

وقوله: «إن فى أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء، فإذا وقع فى الطعام، فامقلوه، فإنه يقدم السم، ويؤخر الشفاء» (١٥).

من معجزاته الطبية ﷺ التى يجب أن يسجلها له تاريخ الطب بأحرف ذهبية ذكره لعامل المرض، وعامل الشفاء محمولين على جناحى الذبابة قبل اكتشافهما بأربعة عشر قرناً.. وذكره لتطهير الماء إذا وقع الذباب فيه وتلوث بالجراثيم المرضية الموجودة فى أحد جناحيه، نغمس الذبابة فى الماء لإدخال عامل الشفاء الذى يوجد فى الجناح الآخر الأمر الذى يؤدى إلى إبادة الجراثيم المرضية الموجودة بالماء.

وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة الأسرار الغامضة التى فى هذا الحديث.. أن هناك خاصية فى أحد جناحى الذباب، هى أنه يحول البكتريا إلى ناحيته.. وعلى هذا فإذا سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فى ذلك الشراب أو الطعام.. فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم، وأول واحد منها هو «مبيد البكتريا» الذى يحمله الذباب فى جوفه قريبا من أحد جناحيه.

فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه.. ولذا فإن غمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التى كانت عالقة به، وكاف فى إبطال عملها.

---

(١٣) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والبيهقى والحاكم.

(١٤) أخرجه البخارى وابن ماجه وأحمد.

(١٥) رواه أحمد وابن ماجه.

كما أنه قد ثبت علمياً أن الذباب يفرز جسيمات صغيرة من نوع الإنزيم Enzime تسمى « باكتر يوفاج » .. أى مفترسة الجراثيم .

وهذه المفترسة للجراثيم « الباكتر يوفاج » . Bacteriophage » أو عامل الشفاء صغيرة الحجم يقدر طولها بـ ٢٠ : ٢٥ ميلى ميكرون ..

فإذا وقعت الذبابة فى الطعام أو الشراب وجب أن تغمس فيه كى تخرج تلك الأجسام الضدية فتبيد الجراثيم التى تنقلها [١٦] .

من هنا فالعلم قد حقق ما أخبر عنه النبى ﷺ بصورة إعجازية لمن يرفض الحديث .

وقد كتب الدكتور أمين رضا أستاذ جراحة العظام بكلية الطب جامعة الإسكندرية بحثا عن حديث الذبابة أكد فيه أن المراجع الطبية القديمة فيها وصفات طبية لأمراض مختلفة باستعمال الذباب .

وفى العصر الحديث صرح الجراحون الذين عاشوا فى السنوات العشر التى سبقت اكتشاف مركبات السلفا .. أى فى الثلاثينيات من القرن الحالى بأنهم قد رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة ، والقرحات المزمنة بالذباب .

من هنا يتجلى أن العلم فى تطوره قد أثبت فى نظرياته العلمية موافقته وتأكيده على مضمون الحديث الشريف مما يعد إعجازاً علميا قد سبق به العلماء الآن .

الملاعن الثلاث :

قال ﷺ :

« اتقوا اللاعنين » ... قالوا : « وما اللاعنان ؟ » .

قال : « الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم » [١٧] .

---

(١٦) معجزات فى الطب للنبى ﷺ : د. محمد سعيد السيوطى (بتصرف) .

(١٧) رواه مسلم.

وقوله : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل » (١٨) .

كما أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال فى الماء الراكد » (١٩) .

وقال ﷺ أيضاً :

« البصاق فى المسجد خطيئة .. كفارتها دفنها » (٢٠) .

ثبت علميا أن كثيراً من الأوبئة مثل الكوليرا والتيفود ، وشلل الأطفال ، والتهاب الكبد المعدى وغير ذلك ، قد تنتقل بالماء وتعيش فيه .

وأن البلهارسيا تنتقل إلى الماء عند التبول فيه .. وبعد أن تتطور فى الماء تنتقل إلى من يستحم أو يشرب منه .

أما الإنكلستوما فإنها تخرج مع البراز ، وتعيش فى المناطق الرطبة كالطين قرب الشاطىء إلى أن تصل إلى جسم السليم .

ومن الملاحظ هنا أن أحاديث رسول الله ﷺ تركز وتؤكد دائماً على الماء الراكد ، مثل مياه الترع الصغيرة والآبار .

وقد ثبت علميا أن معظم الميكروبات وبيض الديدان كالبلهارسيا لا تستطيع الحياة طويلاً أو التكاثر فى المياه الجارية ، كمياه النيل المتدفقة ، أما الترع الصغيرة والآبار ذات الماء الراكد فإنها تشكل خير بيئة لتكاثرها .

كما ثبت أن بويضة البلهارسيا تموت فى الجفاف ، وتفقس فى الجو الرطب .

ومن ثم جاء قوله ﷺ (فى ظلهم) (٢١) وهى تشير إلى المناخ الرطب الذى يلائم فقس بويضة الإنكلستوما والإسكارس ..

---

(١٨) رواه أبو داود وابن ماجه .

(١٩) رواه مسلم .

(٢٠) متفق عليه .

(٢١) كلمة الظل هنا تعنى فى عصرنا جدران البيوت وأرصفة الطريق وتحت الأشجار أو ما شابه ذلك .

فعلى سبيل المثال تفسد بويضة الإسكارس بارتفاع الحرارة عند درجة ٧٠ مئوية ولا تفقس إلا فى الرطوبة (٢٢).

ومن الإعجاز الطبى فى الإسلام أنه قد حرم البصق على الأرض، بل جعل ذلك خطيئة من يفعلها تقلل من حسناته وثوابه... وذلك لأن البصاق قد يكون مليئاً بالميكروبات المعدية كميكروب السل.. وهذه الميكروبات تنقلها الريح إلى السليم.. من هنا تجلت الحكمة العلمية وراء ضرورة ردم البصاق ودفنه (٢٣) فى التراب، فلا تنقلها الريح فضلا عن أن الميكروبات لا تعيش طويلاً فى التراب الجاف.

وهكذا لم يترك الرسول ﷺ صغيرة ولا كبيرة فى نظافة البيئة وصحتها إلا طرقها وأكد عليها... مما يعد الواضع الأول لقواعد الصحة الوقائية فى إطار من الإعجاز العلمى الذى لم تتكشف طياته إلا بعد أربعة عشر قرناً من الزمان.

الاستنجاء:

قال رسول الله ﷺ:

«يا معشر الانصار إن الله قد أثنى عليكم فى الطهور، فما طهوركم؟.. قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجى بالماء.. قال: «هو ذاكم فعليكموه» (٢٤).

عندما يفرغ الإنسان مافى مثانته ومافى شرجه من إفرازات من بول وغائط وغيرهما.. ثم ينظف هذا المكان بالماء، فلذلك فائدة عظيمة كما أثبت الطب الوقائى أخيراً حيث إن النظافة الذاتية لتلك الانحاء تقى الجهاز البولى من الالتهابات.. وتقى الشرج من الاحتقان أو حدوث التهاب أو خراريج أو ما شابه ذلك.

---

(٢٢) الفلاحون فى العالم الإسلامى يفضلون دائماً التغوط على حافة الترعة؛ لكى يسهل عليهم. بعد ذلك الاستنجاء والوضوء من مائها ومع الغائط أو البول تنزل بويضات الديدان وتسبح فى الماء لتعيش وتبدأ دورة جديدة.

(٢٣) الطب الوقائى فى الإسلام: د. أحمد شوقى الفنجرى (بتصرف).

(٢٤) رواه جابر وأنس وأبو أيوب الانصارى رضى الله عنهم.. ومناسبة هذا الحديث نزول قوله تعالى: «فيه رجال يحبون أن يتطهروا».

وقد حدث فى إنجلترا عام ١٩٦٣ وبالتحديد فى مدينة «داندى» أن اكتشفت حالة تيفود أصبحت بعد أيام قلائل عشرات الحالات، مما أصاب السكان بذعر شديد خوفاً من انتشار التيفود خارج مدينة «داندى» ولجأ المسئولون إلى محاولات شتى لوقف هذا الوباء. وأذاع مسئول الصحة بالمدينة تحذيراً فى التليفزيون والإذاعة يطلب فيه عدم استعمال الأوراق فى دورات المياه.. ونصح باستعمال المياه عند قضاء الحاجة؛ لأن العدوى يمكن أن تسرى من خلال الورق الذى يقف عليه الذباب ناقلا العدوى إلى أشخاص آخرين..

وبالفعل استجاب الناس لهذا التحذير، وبالتالى استطاعوا وقف انتشار الوباء فى مراحله الأولى..

من هنا تظهر حكمة الهدى النبوى فى كراهة الاستنجاء بغير الماء إلا لضرورة قصوى وأنه بذلك قد وضع أساساً من أسس الطب الوقائى الذى تضمن معنى علمياً بليغاً.

تحديد اختصاصات اليد اليمنى واليد اليسرى:

قال ﷺ:

«إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه ولا يستنج بيمينه» (٢٥).

فمن هديه ﷺ جعل اليد اليمنى للطعام والشراب والمصافحة وغير ذلك من أمور الحياة وجعل اليد اليسرى للاستنجاء أو البصاق والامتخاط.

وفى هذا التحديد دقة بالغة؛ حيث إنه يقلل فرصة انتقال الميكروبات من البراز أو مخلفات الجهاز التنفسى إلى طعام الإنسان وشرابه.

فمن أمثلة الميكروبات التى تخرج مع البراز ميكروب التيفود والكوليرا وفيروس شلل الأطفال والأكياس الأميبية وبويضات الديدان مثل بويضة ديدان الأكسيورس وهى بويضات معدية مباشرة؛ حيث لا يوجد لها دورة خارج الجسم مما يسهل العدوى الذاتية.

---

(٢٥) متفق عليه.

ومن أمثلة الميكروبات التى تخرج مع البصاق والمخاط ميكروبات الالتهاب الشعبى والالتهاب الرئوى والدرن.

ومن هنا نستطيع تلمس بعض ملامح الطب الوقائى فى الإسلام من خلال التوجيهات النبوية التى تضمن وقاية من اتبعها من العديد من الأمراض، وذلك قبل ألف عام من اكتشاف الميكروبات والجراثيم والطفيليات!.

من سنن الفطرة:

قال ﷺ:

«خمس من الفطرة: الاستحداد (٢٦)، والختان (٢٧)، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر» (٢٨).

ثبت طبياً أن إهمال حلق العانة ونتف الإبط يؤدى إلى الإصابة بنوع معين من القمل يسمى «قمل العانة».. وقد ينتقل باللمس المباشر، أو من المراحيض الملوثة، ويحدث لدغه حكة شديدة تزداد بالهرش، فى حين أن حلق الشعر يؤدى إلى إزالته فوراً دون علاج. ومن الثابت علمياً الآن أن هذا القمل ينقل ميكروبات بعض الأمراض، وعلى رأسها التيفوس (٢٩).

كما ثبت أن هناك أمراضاً تنقلها اليد من خلال الأظافر التى تتراكم تحتها جراثيم تنقل مرض التيفود والدوسنتاريا والنزلات المعوية وغيره.. مما أوجب الاهتمام بتقليم الأظافر، منعا للإصابة بأمراض يسببها إهمال ذلك.

من ذلك كله يتجلى لنا أن الرسول ﷺ قد وضع الأسس الوقائية من الأمراض منذ أربعة عشر قرنا.. جاء بعدها العلم الحديث وأكدها فى أحد فروع الطب الوقائى الحديث..

---

(٢٦) الاستحداد: حلق العانة.

(٢٧) سبق أن تناولناه فى موضع سابق من الكتاب.

(٢٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

(٢٩) الطب فى ضوء الإسلام: د. غريب جمعة.

الحجر الصحي (٣٠) :

قال ﷺ :

« لا يوردن ممرض على مصح » (٣١) .

وقال : « إذا اسمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع وأنتم بأرض ، فلا تخرجوا منها » (٣٢) .

وقال : « فر من المجذوم كما تفر من الأسد » (٣٣) .

فى هذه الأحاديث الشريفة إشارة إلى أصل كبير الفائدة ، يتعلق بالأمراض الوبائية والحث على التوقى منها .

وقد سبق الرسول ﷺ العالم الشهير « باستور » فى اكتشاف الجراثيم التى أشارت إليها تلك الأحاديث بأربعة عشر قرنا ، وقد اهتم العلم الحديث فى جميع أنحاء العالم لاكتشاف حقائق هذه المخلوقات الدقيقة (الميكروبات) ، واستكناه حقائقها ومعرفة خصائصها .

ونشأ عن تلك الأبحاث الدائمة تدوين علم الجراثيم (الباكتريولوجيا) ، وتم الوصول من خلال هذا العلم .. إلى معرفة ماهية وخصائص عالم الميكروبات الخاصة ببعض الأمراض الوبائية الجائحة والأمراض المعدية ..

وبعد ما عرفت الأمراض الوبائية وتأثيراتها المريعة عقدت المؤتمرات الدولية الطبية العديدة ، وقررت ضرورة إنشاء دور الحجر الصحى المسماة « بالكرنتينات » والتى سبق أن قررها الرسول ﷺ فى أحاديثه التى حملت أعظم معانى الطب الوقائى .

ولقد أجمع العلماء أن الطاعون ينتقل بواسطة البراغيث .. وأن البراغيث التى

---

(٣٠) هو منع الاختلاط بين الأصحاء وذوى الوباء حتى لا ينتقل المرض بالعدوى .

(٣١) رواه البخارى ومسلم .

(٣٢) متفق عليه .

(٣٣) رواه البخارى وأحمد .

فى المرضى تعلق بالزائرين والمختلطين بهم، وتلحق بهم المرض، وينتشر بالتالى منهم إلى غيرهم، وقد أطلق النبى ﷺ على الميكروبات لفظ الجن فى قوله: «خمِّروا الآنية.. وأوكئوا الأسقية.. وأجيفوا الأبواب.. واكفتوا صبيانكم عند المساء.. فإن للجن انتشاراً وخطفة»..

وتسمية الميكروبات بالجن معجزة علمية فى ذاتها.. لأن معنى الجن اللغوى مشتق من الجنة بمعنى (الستر) ومنها (الجنين).. وينصرف معناها اللغوى لكل مالا يرى من المخلوقات العضوية الدقيقة، التى لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة من جهة، ولوجود ميكروبات لم يتمكن العلماء من رؤيتها بأعظم الآلات المجهرية المكبرة..

ولذا كانت تسميته ﷺ هذا النوع من المخلوقات الدقيقة غير المرئية بالجن أدق من تسميتها الميكروبات أو الجراثيم (٣٤).

ثم إذا تأملنا لفظ الفرار من المجذوم وجعله كالفرار من الأسد.. ولماذا اختار النبى ﷺ لفظ الأسد ولم يقل النمر مثلاً.. ـ أدركنا أن مرض الجذام من أعراضه تكاثر الدرنات وتجمعها على الوجه والأذن مما يعطى للوجه منظرا يشبه منظر الأسد (٣٥) فضلا عن أن المريض يحمل عدوى سريعة الانتقال للغير بالمخالطة والملامسة والقرب منه.

من ذلك كله يتجلى لنا أن الرسول ﷺ قد وضع أسس الطب الوقائى، ومنه الحجر الصحى منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.. مما يعد إعجازاً علمياً سبق أحدث النظريات الحديثة فى ذلك.

الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية:

قال ﷺ:

«من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» (٣٦).

---

(٣٤) معجزات فى الطب للنبى محمد ﷺ: د. محمد سعيد السيوطى (بتصرف).

(٣٥) نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية: محمد عبد المنعم عبد العال (بتصرف).

(٣٦) رواه مسلم.

وقال : « إن أمتى يدعون يوم القيامة غُرًّا محَجَّلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » (٣٧) .

أثبت العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبى للمزرعة الميكروبية التى عملت للمنتظمين فى الوضوء .. ولغير المنتظمين :

أن الذين يتوضئون باستمرار .. قد ظهر الأنف عند غالبيتهم نظيفا طاهراً خالياً من الميكروبات ؛ ولذلك جاءت المزارع الميكروبية التى أجريت لهم خالية تماماً من أى نوع من الميكروبات .

فى حين أعطت أنوف من لا يتوضئون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى .. والكروية السبحية السريعة الانتشار .. والميكروبات العضوية التى تسبب العديد من الأمراض .

وقد ثبت أن التسمم الذاتى يحدث من جراء نمو الميكروبات الضارة فى تجويفى الأنف ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء ولإحداث الالتهابات والأمراض المتعددة ، ولاسيما عندما تدخل الدورة الدموية .. لذلك شرع الاستنشاق بصورة متكررة ثلاث مرات فى كل وضوء .

أما بالنسبة للمضمضة فقد ثبت أنها تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات ، ومن تقيح اللثة وتقى الأسنان من التنخر بإزالة الفضلات الطعامية التى قد تبقى فيها .

فقد ثبت علميا أن تسعين فى المائة من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان ، وأن المادة الصديدية والعفونة التى تتكون فى الفم لا يقتصر ضررها على تقيح اللثة ، بل تدخل المعدة مع اللعاب والطعام فتمتصها المعدة ، وتسرى إلى الدم .. ومنه إلى جميع الأعضاء وتسبب أمراضاً كثيرة (٣٨) .

وأن المضمضة تنمى بعض العضلات فى الوجه وتجعله مستديرا .. وهذا التمرين

---

(٣٧) متفق عليه .

(٣٨) وقاية الأسنان وصحة الأبدان : د . غرزوزى (بتصرف) .

لم يذكره من أساتذة الرياضة إلا القليل لانصرافهم إلى العضلات الكبيرة فى الجسم .

ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين والقدمين فائدة إزالة الغبار، وما يحتوى عليه من الجراثيم ، فضلا عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التى تفرزها الغدد الجلدية بالإضافة إلى إزالة العرق .

وقد ثبت علمياً أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته .. فإن الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل لأعضائه ، فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثة حكة شديدة . وهذه الحكة بالأظافر .. التى غالباً ما تكون غير نظيفة ، تدخل الميكروبات إلى الجلد .

كذلك فإن الإفرازات المتراكمة هى دعوة للبكتريا كى تتكاثر وتنمو(٣٩) .

بهذا فإن الوضوء بأركانه قد سبق علم البكتريولوجيا الحديثة ، والعلماء الذين استعانوا بالمجهر على اكتشاف البكتريا والفطريات التى تهاجم الجلد الذى لا يعتنى صاحبه بنظافته التى تتمثل فى الوضوء والغسل .

ومع استمرار الفحوص والدراسات .. أعطت التجارب حقائق علمية أخرى .. فقد أثبت البحث أن جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات ، التى قد تنتقل إلى الفم أو الأنف عند عدم غلسها .. ولذلك يجب غسل اليدين جيداً عند البدء فى الوضوء .. وهذا يفسر لنا قول الرسول ﷺ :

«إذا استيقظ أحدكم من نومه .. فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثاً» .

كما قد ثبت أيضاً أن الدورة الدموية فى الأطراف العلوية من اليدين والساعدين ، والأطراف السفلية من القدمين والساقين ، أضعف منها فى الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز الذى هو القلب ، فإن غسلها مع دلكها يقوى الدورة الدموية لهذه الأعضاء من الجسم مما يزيد فى نشاط الشخص وفعاليته .

من ذلك كله يتجلى الإعجاز العلمى فى شرعية الوضوء فى الإسلام .

---

(٣٩) نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية : د . محمد عبد المنعم عبد العال . (بتصرف) .

معجزة الصلاة فى الوقاية من أمراض عدة :

قال ﷺ :

« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » (٤٠) .

وقال أيضاً :

« الصلاة الصلاة .. وما ملكت أيمانكم » (٤١) .

لقد أثبت العلم الحديث أن الصلاة تعد وقاية من أمراض عدة ، منها : مرض دوالى الساقين ؛ حيث تبين أن الصلاة تعد عاملاً مؤثراً فى الوقاية من هذا المرض ، وذلك لأوضاعها المتميزة المؤدية إلى أقل ضغط واقع على الجدران الضعيفة لأوردة الساقين وتنشيط عمل المضخة الوريدية .. ومن ثم زيادة خفض الضغط على الأوردة المذكورة وتقوية الجدران الضعيفة عن طريق رفع كفاءة الجسم عموماً ؛ حيث تقوم الصلاة بتنشيط كافة العمليات الحيوية داخل الجسم الإنسانى بما فيها جميع العمليات التمثيلية الغذائية ، كما أنها عامل نفسى وعضلى فعال ومؤثر..

ولقد اكتشف العلماء أن كل حركة من حركات الصلاة لها دور فى تنشيط الدورة الوريدية .. ففى أول حركة من حركات الصلاة وهى « القيام » حيث يقف المسلم بغير توتر أو تشدد بالساقين منفرجتين .. وفى أثناء هذه الحركة تكون الغالبية العظمى لمفاصل الجسم فى حالة استرخاء .. مع عمل مجموعات العضلات المضادة لعمل الجاذبية الأرضية ، فتكون العضلة الناصبة للظهر ويبقى العمود الفقرى فى الوضع العمودى .

أما فى الحركة الثانية من حركات الصلاة وهى « الركوع » فإنها تجعل المضخة الوريدية داخل تجويف البطن تقذف دماءها نحو القلب بأقوى طاقة .

وكذلك كل حركة من حركات الصلاة لها دورها فى تنشيط الدورة الدموية التى تريح الأوردة وتؤدى إلى الانخفاض الملحوظ فى احتمال الإصابة بدوالى الساقين .

---

(٤٠) رواه الطبرانى .

(٤١) هى آخر وصية وصى بها الرسول ﷺ أمته عند مفارقة الدنيا وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .

ولقد أجريت البحوث فى هذا الصدد (٤٢). فوجدت نسبة المرضى المصابين بدوالى الساقين قد بلغت ١٠٪ من المصلين وذلك من مجموع الحالات... فيما كانت النسبة ٩٠٪ من بين غير المصلين.

كما أجريت الأبحاث على عينة أخرى تضم ٣٠٪ من الإناث و٧٠٪ من الذكور فوجد، أن المصلين فى هذه العينة أيضاً أقل إصابة بهذا المرض ٣٥٪ من مجموع الحالات، فيما استقرت نسبة غير المصلين عند ٦٥٪ من الحالات.

وهكذا يتأكد أن الصلاة ليست عبادة فى حد ذاتها فحسب، وإنما هى رياضة وطب وقائى استهدف صالح من يؤديها بانتظام.

---

(٤٢) معجزة الصلاة فى الوقاية من مرض دوالى الساقين للدكتور توفيق علوان (بتصرف).

الفصل الرابع

علوم الطب
(د)

- حكمة الإفطار على تمر
- النخالة
- اللبن
- الحبة السوداء
- علة تحريم أكل لحم الجوارح وكل ذى ناب
- الخمر

حكمة الإفطار على تمر :

قال ﷺ :

«إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر؛ فإنه بركة، فإن لم يجد تمرا فالماء، فإنه طهور» (1).

أثبت العلم الحديث أن التمر يحتوى على مواد سكرية (2) تبلغ نسبتها ٧٠٪، ومن هذه المواد السكرية سكر العنب، وسكر الفواكه، وسكر القصب، ويحتوى التمر على معادن كثيرة مهمة، منها البوتاسيوم والكالسيوم، والمغنسيوم والفسفور.

والتمر يحتوى على نسبة عالية من الأملاح المعدنية القلوية؛ ولذا فهو من الأدوية المعادلة لحموضة الدم (3).. والمعروف علمياً أن المواد السكرية سريعة الامتصاص، سريعة التمثيل لا تحتاج إلى عمليات هضم معقدة لتتحول إلى مواد أخرى «دكسترين» ثم إلى مواد سكرية قابلة الامتصاص، كما يحدث فى هضم النشويات، من هنا لوحظ «أن المواد السكرية تُمتص فى فترة قصيرة جداً، وتكون جاهزة للاحتراق إذا ما قورنت بالأغذية الأخرى التى تحتاج إلى أكثر من ثلاث ساعات... فهذه المواد السكرية تعوض الجسم بسرعة عن نقص السكر فى الدم أثناء الصوم.. وتزيل الأعراض الناتجة عن نقصه بسرعة، مثل عدم القدرة على الحركة المثلى، والشعور بالضعف والكسل، وزوغان البصر، وعدم القدرة على التفكير والتركيز» (4).

---

(1) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه.

(2) يحتوى البلح على نسبة كبيرة من السكر (٢٠٪ : ٣٠٪) والتمر أفضل من البلح إذ يتركز فيه السكر حتى يصبح حوالى (٧٠٪ : ٨٠٪) ولذلك فهو أفضل الفواكه من ناحية القيمة الغذائية.

(3) لماذا كان الإفطار على تمر: حلمى الخولى (مجلة العربى يونيو ١٩٨٥) (بتصرف).

(4) حكمة الإفطار على تمر: د. هشام إبراهيم الخطيب (مجلة الوعى الإسلامى يونيو ١٩٨٣) (بتصرف).

وهنا تظهر الحكمة النبوية الشريفة فى البدء بتعاطى مادة سكرية كالتمر، ثم يقوم المسلم بعدها إلى الصلاة، وعندما ينتهى منها يتناول طعاما خفيفا يسد جوعه، ويفى بحاجة جسمه من الغذاء، دون شعور بالتخمة أو الامتلاء، وهذا النمط من الإفطار له فوائد منها :

● أن المعدة لا ترهق بما يقدم إليها من غذاء دسم وفير، بعد أن كانت هاجعة نائمة طوال ثمانى عشرة ساعة تقريباً .. بل تبدأ عملها بالتدريج فى هضم التمر السهل الامتصاص، ثم بعد نصف ساعة يقدم إليها الإفطار المعتاد.

● أن تناول التمر أولاً يحدّ من جو الصائم، فلا يقبل على الأكل بعجلة دون مضغ أو تذوق.

● هضم المواد السكرية فى التمر خلال نصف ساعة يساعد الدم على أن يَتْرَع بالوقود السكرى الذى يزود أنحاء الجسم، ويبعث فى خلاياه النشاط، فيزول الإحساس «بالدوخة» والتعب سريعاً.

وبفضل المعادن الكثيرة التى يحتويها التمر من بوتاسيوم وصوديوم وكالسيوم، ومغنسيوم وفوسفور تظهر أهمية التمر فى العمليات الكيميائية فى جسم الإنسان حيث تدخل فى تركيب أنسجته.

فعلى سبيل المثال نجد أن كل مائة جرام من التمر تحتوى على أربعين ملليجراما من الفسفور، فى حين لا تزيد كمية الفوسفور الموجودة فى فاكهة ما عن عشرين ملليجراما من نفس الكمية .. فضلا عن أن الفسفوريدخل فى تركيب العظام والأسنان حيث يعد الغذاء للحجيرات النبيلة (٥).

ولذا كان للتمر أهمية كبرى فى تعويض مايفقده أرباب الفكر والعلم، ومايصيب الشباب من إنهاك تناسلى عندما يندفعون وراء شهواتهم» (٦).

والتمر يحتوى على الفيتامينات التالية :

فيتامين (أ) وهو موجود بنسبة عالية تعادل نسبته فى أعظم مصادره .. أى

---

(٥) هى حجيرات الدماغ والتناسل.

(٦) الأدوية والقرآن الكريم : د. محمد محمد هاشم (بتصرف).

تعادل نسبته فى زيت السمك، وفي الزبدة.. ومن فوائد هذا الفيتامين أنه يحفظ رطوبة العين وبريقها، ويقوى الأعصاب البصرية، ويساعد على النمو والرشاقة.. كما يحتوى التمر على فيتامين ب[1]، ب[2].. وهذه الفيتامينات تساعد على تقوية الأعصاب وتلين الأوعية الدموية (٧).

كما أن الألياف السيلولوزية التى يحتويها البلح تساعد على تنشيط حركة الأمعاء ومرونتها؛ ولذا يستطيع من اعتاد تناولها أن ينجو من حالات الإمساك المزمن، وغير ذلك من فوائد يطول الوقت فى شرحها واستعراضها مما يبرز عظمة الحكمة النبوية فى أهمية الإفطار على التمر والذى قرره العلم أخيراً.

- **النخالة:**

قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى: كتاب الله وسنتى» (٨).

وعن أبى حازم (٩) قال: سألت سهل بن سعد، فقلت: هل أكل رسول الله ﷺ النقى؟ (١٠).. فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ النقى من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله.. فقلت: هل كانت لكم فى عهد رسول الله ﷺ مناخل (١١)؟.. قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله.. فقلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟.. قال: كنا نطحنه وننفخه، فيطير ما طار وما بقى ثريناه (١٢)» (١٣).

لقد كان المفهوم لهذا الحديث الشريف حتى وقت قريب مقتصراً على جوانب الزهد فى المأكل والخشونة فى العيش.. إلا أن المتمعن فى هذا الحديث يجعل

---

(٧) حكمة الإفطار على تمر: د. هشام إبراهيم الخطيب (الوعى الإسلامى ١٩٨٣).
(٨) رواه مالك.
(٩) سلمة بن دينار.
(١٠) النقى هو الطعام والخبز الأبيض المنزوع منه النخالة ويسمى بالخبز الشامى.
(١١) جمع منخل وهو الذى يفصل النخالة عن الدقيق.
(١٢) ثريناه: أى بللناه.
(١٣) رواه البخارى والترمذى وأحمد.

مفهومه لا يقتصر فقط على مظاهر التقشف وحدها ... فتكرار نفى سهل بن سعد رضى الله عنه لرؤية الرسول ﷺ للخبز الأبيض، أو لاستعماله المناخل — يجعل لهذا الأمر أهمية خاصة، كذلك فإن طول المدة واستمرارها من أول البعثة المحمدية حتى وفاة الرسول ﷺ جعلها مؤكدة عن الرسول ﷺ.

ولقد تأكد الطب الحديث منذ عهد قريب من وجود علاقة بين نقص أو غياب النخالة من الطعام، وكذلك الألياف الموجودة فى الخضراوات والفاكهة، وبين مجموعة من أمراض القناة الهضمية التى تصيب الإنسان.. ومن تلك :

● الإمساك المزمن الذى يؤدى إلى البواسير، أو فتق جدار البطن، أو فتق الحجاب الحاجز، حيث إن زيادة الضغط على البطن تحدث رد فعل داخل الصدر، يسبب ضيقاً فى التنفس، واضطرابات فى نبضات القلب.

● ظهور نتوءات كثيرة فى الأمعاء الغليظة، نتيجة عدم احتواء الطعام على النخالة أو الألياف الناتجة عن الخضراوات والفواكه، وهذه النتوءات لها مضاعفات خطيرة مثل انسداد الأمعاء أو النزيف الدموى المعوى، أو الناسور وغير ذلك من أعراض مرضية.

● سرطان الأمعاء.. والسبب أن المواد الناتجة عن هضم الطعام، والتى تمر داخل الأمعاء الغليظة فى طريقها للخارج تحتوى على مواد سرطانية تهاجم جدار الأمعاء من الداخل، مسببة حدوث السرطان.. وأن لوجود النخالة داخل تجويف الأمعاء الكبيرة دوراً كبيراً جداً فى احتواء هذه المواد السرطانية ومصاحبتها إلى خارج الجسم مع الغائط »(١٤).

ومن أجل كل هذا فإن الهيئات الصحية فى دول العالم تنصح مواطنيها بتناول النخالة مع الوجبات الغذائية.

الغريب أن النخالة قد أصبحت تباع الآن فى صور متعددة كمسحوق أو أقراص، فى حين أن الإنسان مازال يصر على فصل النخالة عن الدقيق.. من

---

(١٤) الإعجاز الطبى فى الحديث النبوى: د. فاروق مساهل (بحث منشور بمجلة الوعى الإسلامى عدد سبتمبر ١٩٨٤) (بتصرف).

ذلك يتجلى لنا الإعجاز الطبى فى سلوك الرسول ﷺ، وحرصه على عدم فصل النخالة من طعامه فى الحديث الذى كنا بصدده وصدق الله إذ قال:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١٥).

ولذا كانت لتعاليم الرسول ﷺ وسلوكياته فى الحياة اليومية أعظم الأثر فى مجال صحة الفرد والمجتمع، لو اتبعت وصارت منهجا فى الحياة كما قرر العلم الحديث أخيراً فى أبسط الأمور وهى نخالة الدقيق.

قال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (١٦).

يجمع الأطباء على أن الإسراف فى الطعام والشراب، يضر ضررا بالغا بالصحة، حيث يؤثر تأثيراً مباشراً على الجهاز الهضمى وملحقاته، كما أنه يؤثر تأثيراً غير مباشر على أجهزة الجسم الأخرى، وله علاقة قوية بأمراضها، حتى تلك التى يظن أنه لا صلة للطعام بها كالجراحة.

وبالرجوع إلى شركات الأدوية المختلفة، نجد أن ما تنتجه هذه الشركات من أدوية للأمراض الباطنة، وما يتصل بها يعادل ثلث ما تنتجه كله تقريباً أو يزيد.. والأمر كذلك بالنسبة للصيدليات وشركات التوزيع، وليس لذلك تفسير إلا أن البطن بيت الداء.

ووصف الرسول ﷺ الأكلات بقوله: «يقمن صلبه» هو وصف من الدقة بمكان، وقد يخفى مغزاه على الكثيرين.. فكلمة «تقيم» لا يمكن أن تؤدى هذه الوظيفة، وللصلب خاصة إلا إذا كانت مشحونة بشحنة من الزاد عالية وكافية لمن يزاولون مجهودات شاقة، ومن يضعفون أمام شهواتهم للطعام.. حيث ثبت أن الزيادة تتحول إلى مواد سمّية بسبب التخمرات المرضية، فتكون الاستزادة من الطعام والإفراط فيه ضرراً بالغاً قد يؤدى إلى الهلاك.. ومن هناك كان ترك

---

(١٥) سورة الحشر: ٧.

(١٦) رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه.

الطعام علاجاً، وتبين ذلك فى قوله ﷺ : «المعدة بيت الداء» وقوله : «صوموا تصحوا» (١٧).

إن ما أثبته علم الأمراض الباطنة فى القرن العشرين من أن التسمم الذاتى الناشىء عن اختلال وظائف المعدة والأمعاء.. الناتج عن الإسراف فى الطعام، لا يعالجه سوف الامتناع عن الطعام.. وهذه قاعدة طبية الآن يأمر بها الأطباء مرضاهم للأخذ بها.

اللبن :

قال ﷺ :

«من سقاه لبنا، فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنى لا أعلم ما يجزىء من الطعام والشراب إلا اللبن» (١٨).

لقد أثبت العلم الحديث أن اللبن هو الوحيد من بين الأغذية الذى يحتوى على جميع المواد الغذائية، حيث يحتوى اللبن على المواد التالية :

(١) المواد البروتينية : وهى على نوعين : الأول «كازيونوجين» (١٩) Caseinogen والثانى «لاكتوالبومين» Lacto Allumin

(ب) المواد الدهنية : حيث يتركب دهن اللبن من الكسرايد eylyceride وهو موجود فى اللبن بشكل قطرات مستديرة.. ويوجد فى اللبن صبغة صفراء تسمى Lipacherome تكسبه صفرته المعروفة.. ويفقد اللبن كثيراً من خواصه الغذائية حينما تنزع قشدته.

(جـ) المواد النشوية.

(د) المعادن : وأهم المعادن الموجودة فى اللبن هى الصوديوم والكالسيوم، والبوتاس، والماغنسيوم.

---

(١٧) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(١٨) رواه الترمذى وأبو داود وأحمد.

(١٩) «الكازيونوجين» هو فسفور بروتينى.

(هـ) الڤيتامينات: إن اللبن يحتوى على جميع الڤيتامينات: أى أنه يحتوى على ڤيتامين «أ»، «ب»، «ب٢»، و«جـ»، «د»، «هـ» و«....
وأكثرها فى الخصوص ڤيتامين «أ» و«د».. أما كمية فيتامين «جـ» فهى قليلة.

هناك جدول يبين تركيب اللبن بالنسبة المئوية بالوزن[٢٠]:

نوع اللبن	بروتين	دهن	كربوهيدرات	أملاح معدنية	كثافة نوعية	مـــاء
لبن البقر	٣,٥	٣,٧٥	٤,٧٥	٠,٧٢	١,٠٣٢	٨٧,٢٧
لبن الجاموس	٤,٤	٩,	٤,٨	٠,٨	١,٠٣٤	٨١
لبن العنز	٣,٦٢	٤,٢	٤	٠,٥٦	١,٣٢٧	٨٧,٥٤
لبن الناقة	٢,٩٨	٥,٣٨	٣,٢٦	٠,٧	—	٨٧,٦

ويشكل اللبن غذاء أساسياً لمرضى القرحة المعوية أو قرحة الاثنى عشر؛ لما له من خاصية معادلة أحماض المعدة وحماية جدارها من الإصابة؛ فضلاً عن فوائده الغذائية الأخرى.

ويلاحظ أن المواد الدهنية الموجودة فى اللبن تكون على هيئة ذرات معلقة سهلة الامتصاص، ومعنى ذلك أن اللبن يهضم دون إرهاق.

ويعتبر اللبن غذاء وعلاجاً لمرضى الكبد، حيث يتكون اللبن من مادة «اللاكتوز» [٢١] الذى لا يمتص، وإنما يتحلل وينتج عن حامض يمنع امتصاص بعض المواد الأخرى بالأمعاء التى قد تكون سببا فى حدوث الغيبوبة الكبدية؛ لذلك يعد اللبن وقاية لمريض الكبد من حدوث الغيبوبة الكبدية، وخاصة إذا كان مريض الكبد يحدث له إسهال نتيجة تناول اللبن.

---

(٢٠) اللبن فى ضوء الطب الحديث: د. هشام إبراهيم الخطيب دراسة بمجلة الوعى الإسلامى عدد ديسمبر ١٩٨٤ (بتصرف.

(٢١) أى نشا اللبن.

وقد تبين أيضاً أن المواد البروتينية الموجودة باللبن وما بها من أحماض أمينية لا تتوافر إلا فى البروتين الحيوانى وما بها من خاصية عظيمة لتوافر مادة « الأمونيا » جعل لبروتين اللبن ميزة دون سواه.. وقد ثبت أن الامتناع عن تناول المواد البروتينية لمدة عشرة أيام يؤدى إلى اضطراب ميزان بروتينات الدم، ويؤدى لاضطراب الهرمونات والصحة العامة. ومما هو جدير بالذكر أن اللبن له صلة وثيقة بقوة الرجل الجنسية، كما يفيد الأعصاب بصورة جيدة.. وقد أدرك الرياضيون فى شمال أوروبا أهميته، فصاروا يتخذونه غذاء ضروريا يعنيهم على ممارسة الرياضية، ولاسيا رياضة المصارعة!

وقد عرف العرب اللبن قبل الغرب بمدة طويلة حيث لم تعرف عادة شرب اللبن عند الغرب إلا بعد الحروب الصليبية.. والآن يستهلك الغرب [22] أضعاف الكمية التى يستهلكها العرب، وذلك بعد أن أثبت العلم الحديث مدى أهميته كغذاء للإنسان، مما يعد تأكيداً لما سبق أن قرره الرسول ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا!

الحبة السوداء:

قال ﷺ:

«عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام [23] » [24].

لقد أثبتت النتائج أن الحبة السوداء لها أهمية كبرى كمنشط طبيعى للمناعة، ويمكن أن تؤدى دوراً هاماً فى علاج الإيدز والسرطان وغيرهما من الأمراض التى تصاحب قصور المناعة.

---

(٢٢) يعتبر اللبن ولاسيا اللبن الزبادى أهم المواد الغذائية عند البلغار حيث لا تخلو منه أى مائدة فى أى وجبة؛ ولذلك يمتاز البلغاريون باحتفاظهم بقوتهم وحيويتهم ونشاطهم التناسلى وجميع مظاهر الشباب فى سن متقدمة جداً، فعدد الذين يتجاوزون المائة حسب آخر إحصاء أكثر من ستة عشر فى المليون، فى حين أنه لا يعمر إلا تسعة فى كل مليون فى الولايات المتحدة الأمريكية، وهؤلاء التسعة أقل حيوية ونضرة وشبابا من نظرائهم البلغار!

(٢٣) السام أى الموت.

(٢٤) متفق عليه فى الصحيحين.

كما أكدت التجارب الحديثة على الإنسان والحيوان أن للحبة السوداء تأثيراً موسعا للشعب الهوائية، وتأثيراً مضاداً للميكروبات، وتأثيراً منظما لضغط الدم، وتأثيراً مدراً لإفراز المرارة، وتعتبر علاجاً للربو.

ويفيد الأطباء المختصون بأن الحبة السوداء لو أخذت بالفم بجرعة قدرها جرام مرتين فى اليوم لكان لها أثر منشط على وظائف المناعة وتحسن فعالية الخلايا الطبيعية، ولا سيما لو أخذت مع منشطات طبيعية أخرى للمناعة كالثوم والعسل.

عسل النحل :

قال ﷺ :

« عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن » (٢٥).

لقد سبق أن دلنا القرآن الكريم على ما فى العسل من فوائد جمة ــ كما استعرضناها فى موضع سابق من الإعجاز العلمى فى القرآن (٢٦)، ونحن بصدد التعرض للنظرة العلمية فى قوله تعالى:

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (٢٧).

ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى فى بعض أحاديثه الشريفة، ومنها الحديث الذى نحن بصدده.

ثم يأتى العلم الحديث ليؤيد النظرة القرآنية والنبوية الشريفة بما توصل إليه من اكتشافات حيوية جديدة منها.. أنه أمكن الاستفادة من استخدام العسل علاجا للأمراض التى تسببها ميكروبات التيفوئيد والباراتيفود والدوسنتاريا والنزلات المعوية والمعدية بعد أن ثبت علمياً أن العسل به مواد تمنع الميكروبات سواء أكانت كائنات فطرية أو بكتيرية.

ويستخدم العسل لعلاج البهاق وحب الشباب بعد مزجه بالثوم.. ويستخدم

(٢٥) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا.
(٢٦) يرجع إلى الإعجاز العلمى فى القرآن للمؤلف.
(٢٧) سورة النحل: ٦٩.

أيضاً فى حالات صديد الأذن.. كما يستخدم العسل بنجاح تام لمعالجة الحروق والجروح والخراريج، ومن المثير للعجب أن معالجة هذه الأمراض بالعسل تشفيها بدون ظهور أثر أو ندبة بعد الشفاء، وللعسل يدٌ طُولى فى معالجة أمراض الجهاز التنفسى، فاستخدم لعلاج أمراض الرئة والزكام والانفلونزا،.. وللعسل أيضاً دور كبير لشفاء أمراض الجهاز الهضمى وطرد الديدان من الأمعاء، ويعمل العسل على زيادة هيموجلوبين الدم وزيادة كفاءة الجهاز الدورى.

ويوصي العلماء الشاكين من الأرق وعدم النوم لساعات طويلة بعد ذهابهم إلى الفراش بتناول العسل فى وجبة العشاء أو بأخذ معلقة كبيرة منه أثناء الاستعداد للنوم.. كما أن مداومة استخدام الفرد لمعلقتين صغيرتين من العسل مع كل وجبة يجعله هادىء الأعصاب..

وينصح الأطباء المختصون الذين يعانون دائماً من الصداع النصفى بتناول العسل؛ حيث يعينه على التخلص من آلامه فى مدة وجيزة.

إلى جانب ذلك فالعسل مفيد جداً للأم الحامل، كما يعد غذاء طيباً للأطفال، ولاسيما الأطفال الذين يعانون من التبول اللإرادى..

ومما يزيد من فائدة العسل وقيمته الغذائية والعلاجية أنه يحتوى على فيتامينات مختلفة، ونذكر منها على سبيل المثال ڤيتامين «ب» وهو مفيد جداً فى حالات الالتهابات الجلدية.. وفيتامين «هـ» الذى يمنع انتشار الإكزيما والصدفية.. وفيتامين ب١٢ الذى يعطى نتائج مذهلة فى حالات فقر الدم «الأنيميا الخبيثة».. وفيتامين «ج» الذى يعين الجسم على مقاومة العدوى..

ويعتبر العسل مفيداً جداً لمرض السرطان، حيث يمكن لمريض سرطان الأمعاء أو الكبد استخدام العسل ممزوجاً بجرام واحد من مسحوق جذور نبات جاوى ثلاث مرات يوميا، فيعينه على الشفاء.

والعسل مفيد أيضاً لعلاج أمراض الكبد، حيث يساعدها على التخلص من سمومها، وذلك لما يحتويه العسل من قدر كبير من سكر الفركتوز.

ولما كانت النحلة تمتص من رحيق النباتات المختلفة فتلتصق بجسمها حبوب

اللقاح لهذه النباتات لتكون أحد المكونات الهامة للعسل ــ فإن تلك الحبوب تزيد من قيمة العسل الغذائية والعلاجية؛ لما تحتويه حبوب اللقاح من بروتينيات وڤيتامينات مختلفة. فضلاً عن معادن الصوديوم والمغنسيوم والبوتاسيوم، والكالسيوم والفوسفور وغيرها من عناصر يحتاج الإنسان إلى كميات كبيرة منها لبناء جسمه ولإتمام عملياته الحيوية..

وإذا كان عسل النحل، له فوائده الغذائية والعلاجية المتعددة كما رأينا.. فإن سم النحل (٢٨) ــ كما اكتشف العلم الحديث ــ له فوائد كثيرة أيضاً ــ فهو يؤدى إلى الشفاء من الحمى الروماتيزمية الخفيفة ماعدا التهاب المفاصل الناجم عن أمراض الزهرى أو السيلان أو السل».

كما يؤدى إلى الشفاء من التهاب وآلام الأعصاب وعرق النسا وروماتيزم القلب غير الوراثى، كما له أثر مهبط لضغط الدم المرتفع، فضلاً عن فعاليته فى علاج بعض أمراض العيون مثل: التهاب القزحية والتهاب الغدة الدرقية المصحوب بجحوظ فى العينين.

كما وجد أن سم النحل له تأثير على عصب الجهاز الحاجز.

وبالنسبة لغذاء ملكات النحل فقد تبين أنه له تأثيراً فى توقف الأزمات التنفسية الناتجة عن الربو المجهول السبب الذى ينسب للحساسية.. ويفيد فى علاج العقم وقصور الكلى وغير ذلك من أعراض مرضية..

إن فوائد عسل النحل تتعدد لدرجة يصعب حصرها كما أشارت البحوث العلمية، مما يؤيد ما سبق ذكره فى القرآن الكريم والنسبة النبوية بصدده.

علة تحريم أكل لحم الجوارح وكل ذى ناب:

قال ﷺ:

«حرم على أمتى كل ذى مخلب من الطير وكل ذى ناب من السباع» (٢٩).

---

(٢٨) سم النحل هو ذلك الإفراز الذى يخرج من غدد الشم الموجودة فى آلة اللسع والتى تقع فى مؤخرة شغالة نحل العسل.. وبالرغم من وجود آلة اللسع فى الملكات فإنها من النادر جداً أن تستخدمها فى لسع إنسان أو حيوان، ولكن تستخدمها فقط فى حالة الصراع بين بعضها البعض.

(٢٩) رواه أبو داود.

أثبت علم التغذية الحديث أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها لاحتواء لحومها على سميات ومفرزات داخلية تسرى في الدماء وتنتقل إلى معدة البشر فتؤثر في أخلاقياتهم.. فقد تبين أن الحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرز في جسمه هرمونات ومواد تساعده على القتال واقتناص الفريسة.. ويقول الدكتور «س ليبج» أستاذ علم التغذية في بريطانيا :

«إن هذه الإفرازات تخرج في جسم الحيوان حتى وهو حبيس في قفص عندما تقدم له قطعة لحم لكى يأكلها ...».

ويعلل نظريته هذه بقوله :

«ما عليك إلا أن تزور حديقة الحيوانات مرة، وتلقى نظرة على النمر في حركاته العصبية الهائجة أثناء تقطيعه قطعة اللحم ومضغها، فترى صورة الغضب والاكفهرار المرسومة على وجهه، ثم ارجع ببصرك إلى الفيل وراقب حالته الوديعة عندما يأكل وهو يلعب مع الأطفال والزائرين، وانظر إلى الأسد وقارن بطشه وشراسته بالجمل ووداعته».

وقد لوحظ على الشعوب آكلات لحوم الجوارح (٣٠) أو غيرها من اللحوم التي حرم الإسلام أكلها ـ أنها تصاب بنوع من الشراسة والميل إلى العنف ولو بدون سبب إلا الرغبة في سفك الدماء..

ولقد تأكدت الدراسات والبحوث من هذه الظاهرة على القبائل المتخلفة التي تستمرىء أكل مثل تلك اللحوم إلى حد أن بعضها يصاب بالضراوة فيأكل لحوم البشر.

كما انتهت تلك الدراسات والبحوث أيضاً إلى ظاهرة أخرى في هذه القبائل وهي إصابتها بنوع من الفوضى الجنسية وانعدام الغيرة على الجنس الآخر، فضلاً عن عدم احترام نظام الأسرة ومسألة العرض والشرف.. وهي حالة أقرب إلى حياة تلك الحيوانات المفترسة حيث إن الذكر يهجم على الذكر الآخر من القطيع

(٣٠) حكمة الإسلام في تحريم بعض الأغذية: د. أحمد شوقي الفنجرى (من بحث منشور بمجلة الوعى الإسلامى عدد يوليو ١٩٧٦) (بتصرف.

ويقتله ؛ لكى يحظى بإناثه إلى يأتى ذكر آخر أكثر شبابا وحيوية وقوة فيقتل الذكر المغتصب السابق وهكذا...

ولعل أكل الخنزير أحد أسباب انعدام الغيرة الجنسية بين الأوربيين وظهور الكثير من حالات ظواهر الشذوذ الجنسى مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعى.

ومن المعلوم أن الخنزير إذا ربى ولو فى الحظائر النظيفة ــ فإنه إذا ترك طليقاً لكى يرعى فى الغابات فإنه يعود إلى أصله فيأكل الجيفة والميتة التى يجدها فى طريقه، بل يستلذ منها أكثر من البقول والبطاطس التى تعّود على أكلها فى الحظائر النظيفة المعقمة.

وهذا هو السبب فى احتواء جسم الخنزير على ديدان وطفيليات وميكروبات مختلفة الأنواع (٣١) فضلا عن زيادة نسبة حامض البوليك التى يفرزها والتى تنتقل إلى جسم من يأكل لحمه..

كما يحتوى لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن من بين جميع أنواع اللحوم المختلفة، مما يجعل لحمه عسير الهضم.. فمن المعروف علمياً أن اللحوم التى يأكلها الإنسان تتوقف بسهولة هضمها فى المعدة على كميات الدهنيات التى تحويها وعلى نوع هذه الدهون، فكلما زادت كمية الدهنيات كان اللحم أصعب فى الهضم.

وقد جاء فى الموسوعة الأمريكية أن كل مائة رطل من لحم الخنزير تحتوى على خمسين رطلا من الدهن.. أى بنسبة ٥٠ ٪... فى حين أن الدهن فى الضأن يمثل نحو ١٧ ٪ فقط، وفى العجول لا يزيد عن ٥ ٪.

كما ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوى على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة.. وأن نسبة الكولسترول فى دهن الخنزير إلى الضأن وإلى العجول ٩ : ٧ : ٦ ومعنى ذلك بحساب بسيط أن نسبة الكولسترول فى لحم الخنزير أكثر من عشرة أضعاف ما فى البقر.. ولهذه الحقيقة دلالة خطيرة ؛ لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكولسترول فى دم الإنسان.

---

(٣١) يرجع إلى «الإعجاز العلمى فى الإسلام» «القرآن الكريم» للمؤلف.

وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين، وخصوصاً شرايين القلب... وبالتالي تسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط، وهي السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية المنتشرة في أوروبا، حيث ظهر من الإحصاءات التي نشرت بصدد مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أن نسبة الإصابة بهذين المرضين في أوروبا تعادل خمسة أضعاف النسبة في العالم الإسلامي، وذلك بجانب تأثير التوتر العصبي الذي لا ينكره العلم الحديث (٣٢).

ومما هو جدير بالذكر أن آكلات اللحوم تعرف علمياً بأنها ذات الناب ـــ التي أشار إليها الحديث الشريف الذي نحن بصدده؛ لأن لها أربعة أنياب كبيرة في الفك العلوي والسفلي.. وهذا لا يقتصر على الحيوانات وحدها، بل يشمل الطيور أيضاً؛ إذ تنقسم إلى آكلات عشب ونبات كالدجاج والحمام.. وإلى آكلات لحوم كالصقور والنسور. وللتمييز العلمي بينها يقال: إن الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد، ولا يوجد هذا المخلب في الطيور المستأنسة الداجنة.

ومن المعلوم أن الفطرة الإنسانية بطبيعتها تنفر من أكل لحم الحيوانات أو الطيور آكلة اللحوم إلا في بعض المجتمعات التي يقال عنها إنها مجتمعات متحضرة أو في بعض القبائل المتخلفة كما سبق أن أشرنا.

ومن الحقائق المذهلة أن الإسلام قد حدد هذا التقسيم العلمي ونبه إليه منذ أربعة عشر قرناً من الزمان!

الخمر:

قال ﷺ:

«كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» (٣٣).

وقال:

«ما أسكر كثيره فقليله حرام» (٣٤).

---

٣٢) المرجع السابق (بتصرف).

٣٣) رواه مسلم.

٣٤) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي.

وقال أيضاً :

« اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر » (٣٥) .

لقد ثبت علمياً أن الكحول يختلف عن أغلب المواد فى أنه حتى بالمقادير البسيطة ، يحدث أضراراً فى قوة الإرادة والتحكم ، وتزداد به الانفعالات النفسية والأضرار الفسيولوچية .

وهذا هو محور الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى الشريف الذى يحرم شرب الخمر حتى ولو كانت بكميات قليلة .

ولكى يتبين لنا خطورة الخمر تفصيلياً ، ولاسيما فى تأثيراتها الفسيولوجية ـــ نرى أن الأبحاث العلمية قد أثبتت قيامها بتثبيط عمل عضلة القلب فيقل ضخ الدم من القلب كما تزيد من سرعة دقات القلب ، وترفع الضغط الانقباضى مما يؤدى إلى حدوث توسع فى الأوعية الدموية والجلدية .. وهذا بدوره يسبب زيادة التعرق ؛ ومن ثم يحدث انخفاض فى درجة حرارة الجسم .

وبالنسبة للمعدة فإن الخمر تؤدى إلى زيادة إفراز حامض الهيدروكلوريك .، وهذا بدوره يؤدى إلى احتقان الأغشية المخاطية ؛ ومن ثم يحدث ـــ مع الإدمان ـــ التهاب المعدة الحاد .

ولذا من الشائع أن توجد أعراض اضطراب وظيفة الجهاز الهضمى عند الذين يعاقرون الخمر خاصة القىء والغثيان ، فضلاً عن الأعراض الأخرى كانتفاخ البطن والتقيؤات الدموية وزيادة كمية البول نتيجة لتثبيط إطلاق الهرمون المضاد للإبالة من الغدة النخامية .

إن الأبحاث العلمية التى تجرى فى دول العالم حول التأثيرات الفسيولوجية للخمر مستمرة وصيحات الاستنكار لاتنتهى ، والدعوة إلى نبذ الخمر والمشروبات الكحولية ينادى بها الكثيرون من الدعاة فى المجتمعات التى ألفت شعوبها شرب الخمر أكثر من الماء .

---

(٣٥) رواه ابن عباس رضى الله عنهما .

إن الأبحاث العلمية الحديثة تضيف إلى الأضرار الفسيولوجية (٣٦) التى أشرنا إليها أضراراً أخرى، لعل أخطرها تأثير الخمر على الجنين وهو فى رحم أمه، حيث تحدث له تشوهات خلقية كتوقف نمو الدماغ، وصغر حجمه، مما يؤثر على ذكاء الجنين.. أو يسبب تأخراً فى نمو جسمه بصفة عامة.

وقد أشار العالم الفسيولوجى الأمريكى «بيرتون ألتورا» إلى ذلك فى بحث نشر له فقال:

«إن الكحول الذى يوجد فى كأسين من كئوس الكوكتيل يكون كافيا لكى تنقبض الأوعية الدموية فى المخ، ومن ثم ينخفض تدفق الدم فيه عن الحد الضرورى، مما يؤدى إلى حرمان بعض خلايا المخ العصبية من الأوكسجين الذى يتيح لها أن تقوم بوظيفتها بشكل مناسب».

وقد قام هذا العالم مع زوجته العالمة الفسيولوجية «بيللا» بدراسات على فئران التجارب والطلاب، فاكتشفا أنه مع زيادة جرعات الكحول يتناقص تدفق الدم فى المخ ويعلقان على ذلك بقولهما:

«إذا كان هذا هو ما يحدث فى مخ الإنسان أيضاً، فسيكون لدينا تفسير جيد للحالات المتباينة ـ بين بنى البشر ـ من التسمم الكحولى».

ومن الثابت علمياً أن التسمم الكحولى ينجم عن تناول كمية بسيطة من الكحول سواء كان الشخص معتاداً على تناوله أم غير معتاد.. وتؤدى هذه الحالة ـ غالباً ـ إلى حدوث اضطراب فى المشى والحركة بالإضافة إلى الاعتداءات والمشاجرات، وقد تؤدى أيضاً إلى ارتكاب الجرائم الجنسية وحالات الاغتصاب والانحرافات الأخرى.. وأبسط دليل لدينا هى الروايات الكثيرة التى تحفل بها أقسام الشرطة ومكاتب النيابة عن جرائم أخلاقية تمت فى حالات السكر والتسمم الكحولى.

---

(٣٦) لقد حرصنا على عدم تكرار ما سبق أن أوردناه من أضرار تناول الخمر فى كتابنا «الاعجاز العلمى فى القرآن» وبالتالى توخينا أن نسوق أدلة أخرى جديدة على تلك الأضرار تكون فى الوقت ذاته تكملة إن لم تكن معالجة فى إطار آخر من البيان والتفصيل.. ولذا نرى الرجوع إلى فصل الطب الوقائى من كتاب «الإعجاز العلمى فى القرآن» للمؤلف.

ويكون أثر الخمر أشد خطورة على هؤلاء الذين يحتسون الخمر بكميات لم يعتادوا عليها ، فيحدث لهؤلاء أن تؤدى قلة وصول الدم للمخ إلى ما يشبه « السكتة المخية » والذين لقوا حتفهم نتيجة لذلك أثبتت تشريح الطب الشرعى لهم أن بعض الأنسجة فى المخ لديهم تالفة وميتة .

ويعتقد الباحثون المختصون أن هؤلاء يموتون ؛ لأن الكحول يمنع سريان الدم فى أجزاء معينة من المخ .

وقد توهم بعض العلماء المعاصرين أن الخمر علاج للذبحة الصدرية وجلطات القلب ، وظهرت نظريات مبنية على افتراضات واهية ــ اكتشف فيما بعد خطؤها ــ تجيز شربها للعلاج .

ثم ظهرت الأبحاث العلمية الأخيرة تفند تلك النظريات السابقة مؤداها أن الكحول ليس دواء للذبحة ولا للجلطة ، بل هو أحد العوامل التى تزيد من حدوثها فضلاً عن أن الكحول يسبب اعتلال عضلة القلب .

ومن هنا يظهر الإعجاز العلمى فى قول الرسول ﷺ لرجل كان يصف الخمر للدواء : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » (٣٧) .

وفى قوله أيضاً :

« إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » (٣٨) .

« وقد نهى رسول الله ﷺ عن استعمال الخمر كدواء وحرم بذلك استخدامها كترياق ، ثم يأتى الطب الحديث ويقرر مؤكداً صحة وصدق ما قاله الرسول الكريم من أن الخمر داء لا دواء .

....

ثم ظهرت بحوث علمية جديدة تؤكد أن شرب الخمور يؤدى إلى زيادة فى دهنيات الدم ، فترتفع نسبة « التراجلسريد » (٣٩) Triglycerides .

---

(٣٧) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٣٨) أخرجه البخارى .

(٣٩) هى مادة دهنية تتكون بالتفاعل بين الجلسرين وأحماض دهنية .

كما ترتفع نسبة الكولسيترول مما يؤدى إلى زيادة كمية الدهون الممتصة من الأمعاء إلى الكبد، وبالتالى تفقد الكبد قدرتها على أكسدة الأحماض الدهنية وتحويلها إلى طاقة، كما تفقد الأنسجة إنزيمها الخاص بإزالة المواد الدهنية أو تعطل وظيفة هذا الإنزيم، فيؤدى ذلك إلى عدم قدرة الأنسجة على تخزين الدهون.

ويصاب بعض مدمنى الخمور بمرض «زيف» (٤٠) Zeive وهو مرض خطير لا يصيب سوى المدمنين.

وحيث إن شرب الخمور يرفع نسبة الدهون فى الدم، وهذا بالتالى يؤدى إلى ترسيب الدهنيات تحت الغشاء الداخلى للأوعية الدموية فيضيق الوعاء الدموى؛ ومن ثم يؤدى الضيق إلى الاختناق والجلطة.

وهكذا يتبين أن الخمر يؤدى إلى جلطات القلب والمخ وإلى تطلب الشرايين بصورة عامة، لا إلى علاجها كما توهم البعض.

وإذا كانت الخمور تساعد مؤقتا على تمدد الأوعية الدموية، ولا سيما المنتشرة تحت الجلد فإنها تفقد هذا التأثير بالنسبة للشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب، كما أثبتت التقارير العلمية مؤخراً.

ومما هو جدير بالذكر أن جلطة القلب هى السبب المباشر لموت الفجاءة؛ إذ أن ستين فى المائة من الوفيات الناتجة من جلطة القلب تحدث فى الساعات الأولى من الإصابة... وأن ثمانين فى المائة من الوفيات تتم قبل مضى أربع وعشرين ساعة على الجلطة.

....

وإذا عدنا للنظر فى علة تحريم تناول الخمر ولو قليلاً وما تضمنه هذا التحريم فى حديثه ﷺ «ما أسكر كثيره فقليله حرام» الذى سبق أن أشرنا إليه.. نتبين

---

(٤٠) هذا المرض يؤدى إلى فقر دم شديد نتيجة تكسر كريات الدم الحمراء فى مجرى الدم وفى الطحال بكمية هائلة تفوق تلك التى تتحطم فى الشخص الطبيعى مرات عديدة، وننتج عن زيادة تحطيم كريات الدم الحمراء وما بها من خضاب هيموجلوبين زيادة كبيرة فى المادة الصفراء مما يسبب اصفرار الجسم.. وتتضخم الكبد وتكون مؤلمة عند اللمس.

السبب الذى اكتشفه العلم الحديث أخيراً من أن شرب الخمر ولو بكميات قليلة بانتظام يسبب ارتفاعا فى ضغط الدم، ويؤدى ذلك إلى زيادة إفراز « الكورتيزول » « والكاتيكول أمينس » .. ولقد ذكرت المجلة الطبية لأمريكا الشمالية أن الخمر تسبب ارتفاعا فى ضغط الدم بمجرد شربها ولو مرة واحدة .. وأرجعت ذلك إلى زيادة فى هرمون « الرينين » Renin « والألدسترون » Aldosterone « والكاتيكول أمينس » .

وأن ارتفاع ضغط الدم يؤدى إلى زيادة الإصابة بالسكتة الدماغية وإصابة الأوعية الدموية للدماغ والقلب على السواء، فضلاً عن الأضرار البليغة التى سبق أن تناولناها .

ومن هنا تظهر لنا الحكمة العلمية فى تحريم الإسلام للخمر كما جاء على لسان رسوله ﷺ .

الفصل الخامس

علوم الطب

(هـ)

- النطفة
- هل للمرأة ماء
- بويضة المرأة
- جنس الجنين .. ولد أو بنت
- وسائل منع الحمل ومدى فاعليتها
- الذكورة والأنوثة
- الإجهاض
- الأجنة الممسوخة لاتعيش
- الحيض

قال ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء» (١).

لقد ثبت علمياً أن جزءاً يسيراً جداً من المنى هو الذى يخلق الله منه الولد.. فالدفقة الواحدة من المنى تحمل مائتى مليون حيوان منوى أو يزيد، والذى يلقح البويضة هو حيوان منوى واحد فقط (٢) حيث إن هناك اختياراً بعد اختيار لهذه الحيوانات فلا يصل منها إلا ما أرادته المشيئة الإلهية التى جعلت كل شيء بقدر.

وهناك اختيار واصطفاء أمنى للبويضة.. فبيض الطفلة وهى لا تزال جنيناً فى بطن أمها يحتوى على ستة ملايين بويضة.. فإذا ما خرجت إلى الدنيا مات الكثير منها.. وتستمر هذه البويضات فى اندثارها حتى إذا بلغت الفتاة المحيض لم يبق منها إلا ثلاثون ألفاً.. وما ينمو منها ويخرج من المبيض لا يزيد عن أربعمائة بويضة فى حياة المرأة كلها، وفى كل شهر تنمو مجموعة من البويضات، ولكن يد القدرة تختار واحدة منها فقط لتكمل نموها وتخرج لملاقاة الحيوان المنوى السعيد فى الثلث الوحشى لقناة الرحم.

كما أنه ليست كل بويضة تلقحت تصبح جنيناً كاملاً.. فالأبحاث الحديثة تقول: «إن ٧٨٪ من كل حمل يجهض ويتم إسقاطه.. وإن ما يقرب من ٥٠٪ تسقط قبل أن تعلم الأم أنها حامل» (٣).. وهذا يدفعنا إلى التطرق إلى الإعجاز

---

(١) رواه مسلم.
(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد على البار (بتصرف).
(٣) مجلة Medicine digest: (عدد يناير ١٩٨١) (بتصرف).

العلمى فى قوله ﷺ: «إذا وقعت النطفة فى الرحم بعث الله ملكاً فقال: يا رب مخلقة أو غير مخلقة، فإن قال: غير مخلقة مجّتها الأرحام دماً» (٤).

وهذا ما أثبته العلم الحديث فى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وهذا وحده إحدى المعجزات العلمية العديدة التى جاءت فى أحاديث الرسول ﷺ.

هل للمرأة ماء؟

جاءت أم سليم امرأة أبى طلحة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟ قال: «نعم إذا رأت الماء» (٥).

أثبت العلم أن للمرأة نوعين من الماء:

أولهما: ماء لزج يسيل ولا يتدفق وهو ماء المهبل.. وليس له علاقة فى تكوين الجنين، سوى أنه يساعد فى الإيلاج، وفى ترطيب المهبل وتنظيفه من الجراثيم والميكروبات.

وثانيهما: ماء يتدفق وهو يخرج مرة واحدة فى الشهر من حويصلة جراف بالمبيض، عندما تقترب هذه الحويصلة المليئة بالماء الأصفر من حافة المبيض فتنفجر عند تمام نموها وكماله، فتندلق المياه على أقتاب البطن ويتلقف البوق (٦) البويضة، فيدفعها دفعاً رقيقاً حتى تلتقى بالحيوان المنوى الذى يلقحها فى الثلث الوحشى من قناة الرحم.

وهذا الماء يحمل البويضة مثلما يحمل ماء الرجل الحيوانات المنوية.. وعند الجماع يختلط هذا الماء بمنى الرجل.. ويندفع هذا الماء المختلط إلى الرحم، ومنه إلى قناة الرحم حيث يتم تلقيح البويضة (٧).

---

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم.

(٥) أخرجه البخارى ومسلم.

(٦) هو نهاية قناة الرحم ويسمى قناة فالوب.

(٧) علم الأجنة Human Embryology: Hamilton Boyd

والغريب أن الإمام الفخر الرازى وهو من الأئمة السابقين الأقدمين قد ذكر تقلصات الرحم وما يستتبعها من ماء فقال: «إن الرحم إذا انقطع عنه الطمث قريباً.. وكان خالياً من الفضول المانعة له عن فعله، اشتد شوقه إلى المنى حتى إن الإنسان يحس فى وقت الجماع كأن الرحم يجذب إحليله (٨) إلى داخله كما تجذب المحجمة الدم» (٩).

وكما قرر العلم ثبوت الماء لدى المرأة، يقرر أيضاً أنه لا علاقة له بتكوين الجنين؛ لأن الجنين إنما يتكون من الحيوان المنوى والبويضة، وكلاهما يخرج من الغدة التناسلية: الخصية أو المبيض التى تتكون بين الصلب والترائب وكلاهما يتدفق:

ماء دافق من الخصية يحمل الحيوانات المنوية.

وماء دافق من حويصلة جراف بالمبيض يحمل البويضة.

وهكذا يتضح مرة أخرى الإعجاز العلمى الرائع فى قوله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء».. وهو ما كشف عنه العلم الحديث مؤخراً.

بويضة المرأة:

روى أن يهودياً مرّ برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبى.. فقال: لأسألنه عن شىء لا يعلمه إلا نبى، فقال: يا محمد.. مم يخلق الإنسان؟

فقال رسول الله ﷺ: «يا يهودى، من كل يخلق.. من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة» (١٠).

وفي هذا الحديث نص صريح على أن الإنسان إنما يخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة معاً، وقد أشار الحديث إلى البويضة بالنطفة.. وهى تتكون فى

---

(٨) قضيبه.

(٩) المباحث المشرقية: الإمام الفخر الرازى ج ٢ ص ٢٤٣.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده.

المبيض، وقطرها يبلغ مائتى ميكرون(١١) فى حين أن معظم خلايا الجسم لا تزيد عن بضعة ميكرونات.. وإذا حدث التلقيح والحمل، توقفت الدورة الشهرية لإخراج البويضات؛ وذلك لأن البويضة الملقحة سرعان ماتنقسم وتتحول إلى مجموعة كبيرة من الخلايا؛ لتبدأ دورة فى تكوين الجنين، وأشار إليها حديث آخر مؤداه: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون كذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح(١٢).

وهذا ما أثبته العلم حيث أكد هذا التسلسل الزمنى والانتقال من نطفة إلى علقة إلى مضغة، ويكفينا فى ذلك إعجازاً علمياً أن أساتذة الطب وغيرهم من الباحثين كلما يذكرون مثل تلك الأحاديث لا يزدادون إلا عجباً وإعجاباً، لا سيما وأن الرسول ﷺ قد أخبر بذلك من أربعة عشر قرناً من الزمان.

جنس الجنين.. ولد أو بنت:

قال ﷺ: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب، ذكر أو أنثى؟ فيقضى ربك ما يشاء»(١٣).

ثبت علمياً أن الخصية أو المبيض تنمو من الحدبة التناسلية فى منطقة بين الصلب (العمود الفقرى) والترائب) (الأضلاع) ثم تنزل تدريجياً إلى الحوض، ابتداء من الأسبوع العاشر للحمل حتى تصل إلى الحوض فى الشهر السابع.. ثم تواصل الخصية نزولها فى الشهر التاسع إلى كيس الصفن خارج الجسم.

وبالنسبة للأطباء فإنه لا يمكن معرفة الجنين إلا بعد مضى أربعة أشهر على الأقل، عندما يمكن أن تغرز إبرة لتسحب نقطة من السائل الأميثوسى لفحص خلايا الجنين.. هل تحمل شارة الذكور (و) أو تحمل شارة الأنوثة (×) أما فى

---

(١١) أى خمس مليمتر.

(١٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(١٣) أخرجه مسلم.

الجنين ذاته فإنه لايمكن تمييزه، ولو نزل سقطاً وشرح تشريحاً كاملاً حتى نهاية الأسبوع السادس الرحمى.. فغدد التناسل: الخصية (فى الذكر).. والمبيض (فى الأنثى) تتشابهان تماماً فى هذه المرحلة المبكرة من النمو، ولا يمكن التمييز بينهما.

وفى بداية الأسبوع السابع تبدأ الخصية بالنمو قبل المبيض، ويظهر فيها نسيج خاص، كما أنها تلف بغلالة بيضاء تسمى اللفافة البيضاء، ويصعب التفريق بين الذكر والأنثى من حيث الأعضاء التناسلية الظاهرة إلى بداية الشهر الرابع من الحمل.. ومن ثم يمكن التمييز بينهما.

أما بداية تكون هذه الأعضاء فتبدأ فى الأسبوع السادس (٤٢ يوماً) وتستمر فى النمو.. ولكن التمييز لايظهر إلا فى بداية الشهر الرابع (١٤) إلا أنه من المقرر علمياً أن جنس المولود يتحدد فى اللحظة الأولى التى يلتقى فيها الحيوان المنوى بالبويضة فيلقحها.. ولكن التكوين والتصوير الجنسى يتحدد كما ذكرنا فى خلال الأسبوع السادس أى فى اثنتين وأربعين ليلة كما أخبرنا الرسول ﷺ فى حديثه الشريف الذى يعتبر علامة بارزة فى علم الأجنة.

وسائل منع الحمل ومدى فعاليتها:

قال ﷺ: «إذا أراد الله خلق شىء لم يمنعه شىء»(١٥).

إعجاز كامل لايتصوره إلا من درس وسائل منع الحمل، ونسبة النجاح فيها.. فمن وسائل منع الحمل وسائل قديمة معروفة مثل العزل.. ووسائل حديثة مثل حبوب منع الحمل.. واللولب i . u . d Intra Uterine Device الذى يدخل الرحم وغيره من موانع لدى المرأة والرجل، فضلاً عن عملية التعقيم بقطع قناتى الرحم وربطهما حتى لاتتمكن الحيوانات المنوية من الوصول إلى البويضة.

وقد ثبت علمياً أن لكل وسيلة من وسائل منع الحمل نسبة تفشل فيها.. فبرغم هذه الموانع يحصل الحمل إذا قدر الله ذلك.. بل ويذكر أحد كبار المتخصصين فى الطب فى كتابه: «لقد جاءتنى إحدى المريضات.. وأخبرتنى

---

(١٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد على البار (بتصرف).

(١٥) رواه مسلم.

أنها أجرت عملية تعقيم بقطع قناتى الرحم وربطها فى لندن.. ثم لم تلبث بضعة أشهر إلا وهى حامل»(١٦).. وهذا الأمر ثابت علمياً فى الكتب والمجلات الطبية، حيث تصل نسبة فشل هذه العملية ٥٥٪ إذا كانت العملية عن طريق المهبل، ولكنها تهبط إلى حد واحد فى المائة فقط إذا أجريت العملية عن طريق فتح البطن، وبواسطة جراح ماهر»(١٧) «وسجل كثير من الباحثين نسبة فشل تصل إلى ٣,٧٪ مع جراحين مهرة، بل لقد سجلت حالة حمل بعد عملية استئصال للرحم»(١٨).

من ذلك كله يتجلى لنا الإعجاز العلمى الرائع لحديث الرسول ﷺ، من أن جميع وسائل منع الحمل لا تستطيع منع خلق الولد إذا أراده الله تعالى، وتلك صارت حقيقة علمية فيما بعد يؤكدها الباحثون والعلماء بعد أربعة عشر قرناً من الزمان.

الذكورة والأنوثة:

قال ﷺ لليهودى الذى سأله عن الولد: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منىُّ الرجل منىَّ المرأة أذْكَر بإن الله.. وإذا علا منىُّ المرأة منىَّ الرجل أنث بإذن الله» قال اليهودى: صدقت وإنك لنبى(١٩).

تضمن الحديث الشريف حقيقة علمية، وهى أن ماء المهبل يميل إلى الصفرة، وكذلك الماء فى حويصلة جراف، وعند خروج البويضة من هذه الحويصلة تدعى حينئذ الجسم الأصفر.. وهذا من الإعجاز العلمى؛ لأنه لم يكن معلوماً آنذاك، كما تضمن قضية الذكورة والأنوثة وأرجعها إلى أىّ الماءين علا فالذكورة أو الأنوثة تبع له.

وقد يبدو ذلك معارضاً للمعلومات الطبية التى تؤكد أن جنس الجنين إنما يحدده الحيوان المنوى الذى سيلقح البويضة.. إلا أن الواقع يؤكد أنه ليس هناك

---

(١٦) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد على البار.

(١٧) Human Fertility control By Hawkins.

(١٨) المرجع السابق.

(١٩) رواه مسلم.

تعارض، فقد أثبتت البحوث الطبية أن علوّ ماء الرجل أو ماء المرأة يؤثر على الحيوانات المنوية التى سيلقح واحد منها البويضة.. يضاف إلى ذلك أن إفرازات المهبل حامضية وقاتلة للحيوانات المنوية.. وأن إفرازات عنق الرحم قلوية ولكنها لزجة فى غير الوقت الذى تفرز فيه البويضة، مما يؤثر فى حركة الحيوانات المنوية، واتجاه الحيوان المنوى الذى سيلقح البويضة.

وهناك من يذكر أن معنى العلو هو الغلبة والسيطرة، فإذا كانت الغلبة للحيوانات المذكرة كان ذكراً.. وإن كانت للمؤنثة كان أنثى بإذن الله (٢٠) وكل ذلك يظهر بشكل واضح البعد العميق الذى تضمنه الحديث الشريف، والذى كشفته البحوث العلمية بعد أربعة عشر قرناً من الزمان من روايته.

وحسبنا من ذلك إعجازاً علمياً يعجب منه المتخصصون الباحثون قبل غيرهم!!

الإجهاض:

قال ﷺ: «إذا وقعت النطفة فى الرحم بعث الله ملكاً فقال: يارب مخلقة أو غير مخلقة؟... فإن قال غير مخلقة مجّتها الأرحام... وإن قيل مخلقة.. قال: أى رب شقى أم سعيد؟ ما الأجل؟ ما الأثر؟ وبأى أرض تموت» (٢١).

وقوله: «إذا مكثت النطفة فى رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملك فاختلجها ثم عرج بها إلى الرحمن عز وجل فيقول: اخلق يا أحسن الخالقين. فيقضى الله فيها مايشاء من أمره، ثم تدفع إلى الملك.. فيقول: يارب أسقط أم تمام فيبين له» (٢٢).

يذكر الحديث الأول أن السقط التلقائى Spontaneous Abortion يحصل قبل التخليق أو بعد التخليق كما ذكر الحديث الثانى.

ومن الثابت علمياً أن السقط التلقائى يشكل ٧٨٪ من مجموع حالات الحمل

---

(٢٠) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: د. محمد على البار (بتصرف).

(٢١) ذكره ابن كثير وابن جرير الطبرى فى تفسيريهما.

(٢٢) ذكره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (كتاب القدر).

بأكملها .. وأن مايقرب من ٥٠ ٪ من حالات الحمل تجهض قبل أن تعلم الأم بأنها حامل (٢٣) .

ذلك لأن الرحم يقذف البويضة بعد تلقيحها وبعد انغرازها مباشرة .. وفى بعض الأحيان لا يتم الانغراز (العلوق) أصلاً .. وبما أن العلوق يحدث بعد التلقيح بأسبوع فقط .. فإن الرحم قد يقذف هذه العلقة بعد انغرازها فيه مباشرة .. ويكون ذلك فى موعد الحيض فلا تفطن المرأة إلى أنها قد حملت أصلاً .. وقد تتأخر حيضتها بضعة أيام ثم تأتى العادة الشهرية فتظن المرأة أن حيضتها قد تأخرت لأيام فقط ولا تفطن إلى وجود الحمل » (٢٤) .

وتعرف أغلب حالات الإجهاض التلقائى فى علم الأجنة باسم تكوين الأعضاء Organogenesis وتبدأ من الأسبوع الرابع منذ التلقيح وتنتهى فى الأسبوع الثامن .

وهكذا أوضح لنا الرسول ﷺ أن معظم حالات الإجهاض تحدث قبل فترة التخليق الحرجة Organogenesis وهذا مالم يكتشف إلا حديثاً جداً .

« بل لم يعرف أنه يحدث بهذه الكثرة ، بحيث إنه يشمل مايقرب من ٥٠ ٪ من جميع حالات الحمل إلا فى بداية الثمانينيات من القرن العشرين » (٢٥) أفلا يعد هذا إعجازاً علمياً كاملاً لم يفطن إليه أحد من قبل إلا متأخراً جداً !!

الأجنة الممسوخة لا تعيش :

قال ﷺ : « ما جعل الله لمسخ مّن نسل » (٢٦) .

وهذا ما أثبته العلم من أن الأجنة التى تولد ممسوخة إما أن تولد ميتة أو تعيش لبضعة أيام ثم تموت .. وإذا كانت الإصابة أخف مثلها يكون فى حالة « ترنر » التى لا يوجد فيها إلاّ كروموسوم واحد للجنس وهو كروموسوم (x) فإن

---

(٢٣) مجلة Medicine Digest فى عددها الصادر فى يناير سنة ١٩٨١ .

(٢٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن : د . محمد على البار (بتصرف) .

(٢٥) المرجع السابق .

(٢٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

صاحبة هذه الحالة تظهر كأنثى، ولكنها لا تحمل ولا تلد مطلقاً... وكذلك فى حالة كلينفلتر Kleinfelter حيث يكون كروموسوم الجنس على هيئة xx أى يحمل شارتى الأنوثة وشارة واحدة للذكورة، فيكون صاحب هذه الحالة ذكراً فى الشكل، ولكنه بارد الهمة، خائر العزيمة، تبدو عليه آثار الأنوثة.. فهو عنين عقيم» (٢٧).

هذا فضلاً عن أن جميع حالات المسخ لا تعيش إلا بضعة أيام فى غالب الأمر، أو تنزل ميتة، وهذا ما يؤكد بالتالى على أنها لا تتناسل.

من ذلك كله يتبين لنا الإعجاز العلمى فيما أخبر به رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان وقرره العلم الآن.

الحيض:

قال ﷺ: «هذا شىء كتبه الله على بنات آدم» (٢٨).

وقوله: «دم الحيض أسود يعرف فإذا كان ذلك فأمسكى عن الصلاة» (٢٩).

وهذا ما قرره العلم، فيقول الدكتور «دوجالدبيرد» «إن لون دم الحيض هو أسود.. أما الدم الأحمر المشرق فإنه دم غير طبيعى.. ودم الحيض لا يتجلط، ويمكن إبقاؤه سنين طويلة على تلك الحالة دون أن يتجلط.. فإذا ظهر دم يتجلط أثناء الحيض فإن الحائض سرعان ما تعرف ذلك، ويعتبر غير طبيعى» (٣٠).

وهكذا يعرفنا الرسول ﷺ منذ أربعة عشر قرناً ما هو دم الحيض وما هو غيره فى قوله: «دم الحيض أسود يعرف» وهو بذلك يشير إلى أن له خصيصة معينة من لون ورائحة، فإذا كان ذلك فيعتبر حيضاً، وبالتالى كان وجوب الإمساك عن الصلاة.. فإذا كان غير ذلك اعتبر استحاضة، كما أشار عليه الصلاة والسلام

---

(٢٧) خلق الإنسان بين الطب والقرآن د. محمد على البار (بتصرف).

(٢٨) رواه البخارى.

(٢٩) رواه أبوداود وغيره.

(٣٠) المرجع فى أمراض النساء والولادة: د. دوجالدبيرد.

بقوله : « ليس ذلك بحيض إنما هو عرق ، لتقعد أيام أقرائها [٣١] ثم لتغتسل ولتصلّ » [٣٢] .

وهذا أيضاً ما قرره العلم .. أن مدة الحيض ودورته تختلف من حين لآخر لدى المرأة .. وما هو طبيعى بالنسبة لامرأة يعتبر غير طبيعى بالنسبة لامرأة أخرى ، فلكل امرأة ما اعتادته ، وتستطيع معرفة ذلك أغلب النساء دون صعوبة .. حيث تحسب الدورة من بداية الحيض إلى بداية الحيضة التى تليها ، ومدتها ٢٨ يوماً قد تزيد أو تنقص يوماً أو يومين .

وهكذا كانت إحاطة الرسول ﷺ بتلك الأمور تفصيلياً كالمرأة التى خبرتها تماماً يعدّ فى ذاته إعجازاً علمياً .

---

(٣١) أى حيضها .

(٣٢) رواه البخارى وأحمد .

الفصل السادس

علوم الطب

(و)

- علم الوراثة
- تحريم زواج الإخوة من الرضاع
- علم التشريح
- الرحم
- نظام التيامن فى الجسم البشرى
- حكمة النوم على الجانب الأيمن

علم الوراثة:-

قال ﷺ : «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» (١)

أثبت علم الوراثة أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والعضوية والعقلية، حيث إن فى كل خلية من خلايا الجسم عدداً ثابتاً من أجسام صغيرة تسمى كروموسومات تحمل عوامل وراثية مسئولة عن الصفات التى تظهر فى الإنسان؛ حيث إن هذه الكروموسومات ما هى إلا الجسر الذى تنتقل عليه صفات النوع من جيل إلى جيل آخر.

وقد يكون تأثير العامل الوراثى خافياً مستتراً، فيطلق عليه فى هذه الحال العامل الوراثى الكامن أو المتنحّى.. وهذا ما أخبر عنه الرسول ﷺ عندما جاء إليه رجل من بنى فزارة يقول له: ولدت امرأتى غلاماً أسود، وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه.. فقال رسول الله ﷺ: «هل لك من إبل؟».. قال: نعم.. قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر.... قال: «هل فيها من أورق» (٢). قال: إن فيها لورقا. قال: «فأنّى أتاها ذلك».. قال: عسى أن يكون نزعة عرق... قال: «فهذا عسى أن يكون نزعة عرق» (٣) ولم يرخص له فى الانتفاء منه.

فضلاً عن أن هذا الحديث قد دل على سعة علم رسول الله ﷺ، وقدرته التى لا تدانى فى الحوار والإقناع، بحيث أرجع السائل إلى ما يعهده من إبله سائلاً إياه عن ألوانها حتى إذا قرر السائل الحقيقة بنفسه كانت الحجة دامغة تملأ عقله وقلبه، وتزيل ما قد ران على نفسه من ظلال الشكوك القائمة فى زوجته.. فقد

---

(١) رواه ابن ماجه والديلمىّ.

(٢) أى أسمر أو ما كان لونه كلون الرماد.

(٣) يراجع فتح البارى حديث رقم ٥٠٣٥، ٦٨٤٧، ٧٣١٤ (رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وأحمد).

قرر تأثير العامل الوراثى الكامن الذى أكدته بحوث علماء الوراثة ؛ حيث إن علم الوراثة الحديث يؤكد أن الشبه بين المولود ووالديه قد يكون غير ظاهر، بل بعيداً كل البعد عن كلا الأبوين .. كما حدث للفزارى الذى جاءته امرأته بغلام أسود ؛ حيث إن الصفات الوراثية قد تكون سائدة Dominant وقد تكون متنحية Recessive فإذا اتفق وكان كل من الأب والأم يحملان أحد هذه الصفات المتنحّية، فإن ربع أولادهم تقريباً ستظهر فيهم هذه الصفة المتنحّية بصورة واضحة جلية ، وذلك لاجتماع الصفتين من كلا الأب والأم (٤) وهذا ما يجعل الزواج من الأقارب consanguinity يظهر الصفات والأمراض المتنحّية التى كانت مختفية. وهنا تظهر الحكمة العلمية فى قول رسول الله ﷺ : «اغتربوا لا تضووا» (٥).

وقوله أيضاً : «لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً» (٦).

وهذا ما أثبته علم الوراثة كذلك من أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية ، ومن ناحية أخرى يكون ظهور الصفات المتنحّية الرديئة كبيراً جداً .. فالأمراض الوراثية النادرة فى المجتمع يكون احتمال ظهورها فى الزوجين البعيدى النسب لا يزيد عن واحد فى الألف ، فى حين يرتفع احتمال ظهور تلك الأمراض الوراثية النادرة إلى ٣٥٪ عندما يكون الزوجان أولاد عم أو خال أو عمة أو خالة (٧) .

من ذلك كله يظهر لنا أن الرسول ﷺ قد وضع معالم وأسس علم الوراثة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، وفى ذلك إعجاز علمى قد أثبته العلم الحديث اليوم .

تحريم زواج الإخوة من الرضاع :

قال ﷺ : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» (٨).

---

(٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن : د . محمد على البار (بتصرف) .

(٥) هذا الحديث قد تعسر تخريجه مما يدعونى إلى طلب معاونة الباحثين فى علم الحديث .

(٦) ضاويا : أى نحيفاً ضعيف الجسم والعقل .

(٧) ...t Textbook of Medicine, 5 th Edition ____

(٨) متفق عليه .

أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت حديثاً وجود أجسام فى لبن الأم المرضعة الذى يترتب على تعاطيه تكوين أجسام مناعية فى جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات... وهذه هى الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية فى جسم الإنسان، حتى فى حيوانات التجارب المولودة حديثاً والتى لم يكتمل نمو الجهاز المناعى عندها.... فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذى ترضعه، وبالتالى تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع فى هذه الصفات الوراثية.

ولقد وجد أن تكوُّن هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدى إلى أعراض مرضية عند الإخوة فى حالة الزواج.

ومن هنا نجد الحكمة فى هذا الحديث الشريف الذى نحن بصدده فى تحريمه زواج الإخوة من الرضاع والذى حدد الرضعات بخمس رضعات مشبعات (٩).

علم التشريح

الرحم:

قال ﷺ: «الرحم شجنة (١٠) من الله» (١١).

وهذا ما أثبته علم التشريح من أن الرحم موضوع فى وسط حوض المرأة حتى يكون محمياً ومصوناً من كل أذى.. وهو عضو عضلى أجوف ذو جدار ثخين ومتين.. كمثرىّ الشكل يبلغ طوله ٣بوصات، وعرضه بوصتين، وسمكه بوصة واحدة فى الأنثى البالغة، فإذا حملت المرأة فإن الرحم ينمو ويكبر حتى يملأ البطن من القص إلى العانة.

وحجم تجويف الرحم فى الأنثى البالغة لايزيد عن ملليلترين.. أما فى نهاية الحمل فإن حجم الرحم يتسع لسبعة آلاف ملليلتر.. أى أن حجمه يتضاعف أكثر من ثلاثة آلاف مرة.

---

(٩) وعلى ذلك فنحن لا نؤيد فكرة إنشاء بنوك لبن الأمهات حتى لا تختلط الأنساب، فضلاً عن حماية الجنس البشرى من الأمراض الوراثية التى تنشأ من زواج الأخوات من الإخوة من الرضاع.

(١٠) الشجنة: فروع الشجر المتشابكة.

(١١) رواه البخارى.

ووزن الرحم يبلغ خمسين جراماً يزيد أثناء الحمل ليبلغ وزنه ألف جرام أو يزيد ، أما محتوياته فتزيد خمسة آلاف جرام .

والرحم يتكون من طبقات .. أولها من الخارج وهى طبقة البريتون التى تغطى جسم الرحم .. وثانيها الطبقة العضلية ، والتى تحمى غشاء الرحم الذى تنغرز فيه البويضة الملقحة لتصبح جنيناً .. وثالثها : هى الطبقة المخاطية وهى الغشاء المبطن للرحم .

وللرحم قناتان (١٢) على كل جانب واحدة .. وتنتهى قناة الرحم بانتفاخ يعرف باسم البوق الذى يحيط بالمبيض بمجموعة من الأهداب .

من هذا يظهر لنا الرحم كفروع شجر متشابكة ، وهو ما أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله : « الرحم شجنة من الله » مما يعد وصفه إعجازاً علمياً ، لا سيما قبل أن نعرف علماً يسمى بعلم التشريح الذى يصف أجزاء الجسم البشرى بالدقة والبيان الواضح .

نظام التيامن فى الجسم البشرى :

قال ﷺ : « إن الله يحب التيامن فى كل شىء » .

ثبت علمياً أن كل حركة فى جسم الإنسان تدور حسب نظام دقيق ، بحيث تبدأ الحركات من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى ، ثم تتلاشى وتنتهى .. من ذلك :

● حركة الدم التى تبدأ أول نقطة فيها داخل جهاز الدورة الدموية من القلب ، عندما تتقلص العضلات القلبية ، لتضخّ الكتلة الدموية ، فيبدأ سير الدم النقى من تجاويف البطين إلى الشريان الأبهر الذى يتجه بشكل مقوس من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى ، بحيث يجعل جريان الدم سائراً بهذا الاتجاه ، مبتدئاً من اليمين ومنتهياً فى اليسار ، بعد أن تتشعب الأوعية الدموية من الدقيق إلى الأدق ، حتى تتلاشى حركة الدم ، وتصبح غير منظورة لا تبصرها العين إلا بمساعدة

---

(١٢) تسمى قناة الرحم القناة المبيضية أو قناة فالوب نسبة إلى الطبيب الذى وصفها أول مرة .

العدسات المجهرية المكبرة، حيث تشاهد حركة الكريات الدموية وهى تؤدى وظائفها فى تغذية وإرواء الأنسجة بمساعدة السوائل الدموية.

● حركة الأمعاء تبدأ من باب المعدة الاثنى عشر بحيث يكون اتجاه الحركة للمواد الغذائية من الجهة اليمنى، ثم تنعطف الحركة باتجاه اليسار.. وإلى أنحاء منطقة الامتصاص الشعرية فى الأمعاء الدقيقة.

● وحركة القولون فى منطقة الأمعاء الغليظة، تبدأ من نقطة الجهة اليمنى باتجاه الناحية اليسرى إذ تتقلص لدفع المواد المتبقية من عملية الامتصاص إلى الجهة اليسرى المقابلة بعد أن تجمعت فى الخزان الأعور الكبير، فتتحرك المواد من الجهة اليمنى إلى اليسار.. وإلى القولون المستعرض المتوازى وهكذا.

● وحركة التنبيهات العصبية العجيبة الصنع فى المراكز العصبية، والأسلاك الحسية والحركية المتصلة بها، تبدأ دورتها من الجهة اليمنى، وتنتهى فى الطرف الأيسر عند أداء وظائفها الطبيعية الفسيولوجية (١٣).

وهكذا أظهر الحديث الشريف تلك الظاهرة العلمية فى الكيان البشرى، مما جعلها انطلاقة علمية لم تكتشف إلا بعد بضعة قرون من قول الرسول ﷺ.

حكمة النوم على الجانب الأيمن:

قال ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن» (١٤).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقّه الأيمن» (١٥).

ثبت علمياً «أن النوم على الجانب الأيمن يمنع ضغط الكبد على المعدة،

---

(١٣) من عجائب الإسلام: د. إبراهيم الراوى (مجلة العلم والإيمان العدد الخامس عام ١٩٧٦ (بتصرف).

١٤) متفق عليه.

(١٥) رواه البخارى.

ويساعد على تفريغ محتوياتها، كما يسهل عمل القلب؛ إذ يمنع ضغط المعدة والحجاب الحاجز عليه.

أما النوم على الجانب الأيسر.. فإنه يزيد العبء على القلب نتيجة لوضع المعدة والكبد على القلب في هذا الاضطجاع، وكذلك على الرئة اليمنى.. أما النوم على الصدر فله ضرره؛ إذ أن النائم لا بد أن يلوى عنقه إلى أحد الجانبين حتى يتنفس.

أما النوم على الظهر.. فإنه يجعل الأحشاء ترفع الحجاب الحاجز، وهذا بدوره يضغط على القفص الصدرى، فيحس النائم بالضيق، ولربما قام من نومه متضايقاً» (١٦).

من ذلك تظهر الحكمة العلمية فى الحديث الشريف، والتى قررها العلم الحديث فى بحوثه وتجاربه العلمية أخيراً.

---

(١٦) دراسة لظاهرة النوم: د. عبدالمنعم عبدالقادر الميلادى (مجلة منار الإسلام عدد سبتمبر سنة ١٩٨٢) (بتصرف).

الفصل السابع

علم الميتافيزيقا

- التنبؤ بانحلال الأخلاق
- الرشوة
- مرض يصيب المرأة المتبرجة
- السنة النبوية سبقت النظريات الحديثة

التنبؤ بانحلال الأخلاق :

قال ﷺ : «لاتقوم الساعة حتى يتسافد الناس تسافد البهائم فى الطرق» (1) .

وقال : «لا تقوم الساعة حتى توجد المرأة نهاراً تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد ، فيكون أمثلهم يومئذ الذى يقول : لو نحيتها عن الطريق قليلاً» (2) .

وقال : «إذا اقترب الزمان يربى الرجل جرواً خير له من أن يربى ولداً له ، ولا يوقر كبير، ولا يرحم صغير، ويكثر الزنى حتى إن الرجل لَيغشى المرأة على قارعة الطريق ، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب» (3) .

فى وقتنا الحاضر نسمع عن أخبار وأنباء مريعة ، منشؤها البعد عن تعاليم الدين وتوجيهاته ، من ذلك ما ذكرته مجلة الشرق الأوسط (4) : «أن خمسة آلاف فتاة بريطانية دون السادسة عشرة قد أجرين عملية إجهاض عام ١٩٧٦ منهن ألف فتاة دون الخامسة عشرة» .

وذكرت مجلة أخرى (5) «أن التقديرات الطبية تدل على أن ١٣,٧٠٠,٠٠٠ حالة إجهاض جنائى قد تمت عام ١٩٧٦ فى البلاد النامية فقط» .

وفى إسبانيا والبرتغال مليون حالة سنوياً .. وفى أوربا مليون ، وفى اليابان مليوناً حالة .. وفى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية بضعة ملايين ، وفى الصين

(١) رواه الطبرانى عن ابن عمر .

(٢) أخرجه الحاكم .

(٣) أخرجه الطبرانى والحاكم .

(٤) فى عددها الصادر فى ١٨ — ١٢ — ١٩٧٩ .

(٥) مجلة Medicine Digest الطبية الصادرة فى مارس ١٩٨١ .

كذلك .. ولولا انتشار حبوب منع الحمل ، ووسائل منع الحمل الأخرى لكانت حالات الإجهاض الجنائى أكثر من ذلك بكثير.

وقررت الحكومات الأوربية وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية تعليم الأطفال فى المدارس الابتدائية الشئون الجنسية ، ووسائل منع الحمل حتى يمكنهم تجنب الحمل والإجهاض ما دامت العلاقات الجنسية مشاعة فى المجتمع ، وتعتبر عملاً طبيعياً ليس عليه غبار، ولا شك أن الإجهاض الجنائى يفوق الآن حالات الإجهاض التلقائى ، وذلك للخلل المشين فى المفاهيم الأخلاقية التى أصابت أوربا وأمريكا .. ونتيجة لموجات التحلل ، وشيوع الفاحشة فى تلك المجتمعات ، بحيث أصبحت تمارس فى الحدائق ، وقارعة الطريق ، دون أى شعور بالخجل .. ودون أن يتدخل أحد فى الشئون الشخصية كما يتصور الآن البعض .

ونشرت صحيفة « هيرالدتريبيون »(٦) تحت عنوان « حمل غير المتزوجات يتزايد فى الولايات المتحدة الأمريكية » . تقول الصحيفة : « إن حمل البنات غير المتزوجات ، وفى غير أمل لهن فى الزواج بمن حملن منه يتزايد فى الولايات المتحدة الأمريكية .. وإن متوسط السن للأمهات غير المتزوجات هو السادسة عشرة من العمر » .

وكتبت فتاة إلى جريدة الديلى نيوز(٧) تسأل : « صديقى الشاب يريد الزواج فوراً وأنا مترددة لأنى لم أصاحب غيره » وترد محررة باب شئون المرأة « دوريس بلاك » قائلة : « معك حق .. يجب أن تتأكدى أولاً من مشاعرك ، خطأ أن تتزوجى أول رجل تلتقين به فى حياتك ، فربما تندمين ، أو ربما تظلين طول حياتك تتساءلين عما فقدته من سوء حظك » .

ويقول شاب إيطالى اسمه « ماريو نيلاكس » : إنه يعتقد أنه حقق الرقم القياسى العالمى فى الخيانة الزوجية .

وقال « ماريو » الذى يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ، وهو يدلى بتصريح بهذا

---

(٦) فى عددها الصادر فى ١٦ـ٣ـ١٩٦٦ .

(٧) صحيفة أمريكية تصدر فى نيويورك .

المعنى إلى إحدى الصحف الإيطالية: «هذا شيء جديد عليكم، ولكنه حقيقة — أنا خنت زوجتي حتى الآن أكثر من ٤٨٠ مرة خلال ستة أشهر فقط، وهي تعرف ذلك».. وأشار إلى أنه بعث برسائل إلى مكاتب تسجيل الأرقام القياسية في العالم لتدوين اسمه وتجربته! (٨)... وغير ذلك من أخبار وأنباء تنقلها إلينا الصحف والمجلات تدلل على صدق نبوءة الرسول ﷺ فيما أخبرنا به من خلال أحاديثه التي نحن بصددها.

الرشوة:

قال ﷺ: «لعنة الله على الراشي والمرتشي» (٩).

لقد كان للإسلام فضل السبق على سائر الأنظمة الحديثة في تشريع قانون «الكسب غير المشروع» أو ما يسمى بقانون «من أين لك هذا؟».

وذهب علماء الاجتماع إلى أن المجتمع الذي يتعامل فيه الناس بالكذب والغش والرشوة تنتشر فيه المفاسد والمظالم وقطع صلة الأرحام، ويزداد فيه الحقد والحسد والضغينة في قلوب الضعفاء الفقراء الذين لا يملكون المال، ولا يعرفون كيف يرضون أصحاب النفوذ والسلطان، ولا كيف يستردون بعض حقوقهم المنهوبة؛ ومن ثم يتولد الصراع بين فراد المجتمع، وتتدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فالمرتشي لن يخلص في عمله، ولن يجهد نفسه في تيسير الأمور لأصحاب الحاجات والمظالم، فصاحب الحق عنده من يدفع له أكثر.. ولذلك أثبتت الشواهد اليومية أن انتشار الرشوة كوسيلة ونظام لقضاء الأعمال وإبرام الصفقات وإتمام المشاريع — هو نظام جائر يسحق البشرية ويشقيها أفراداً وجماعات، كما أن الراشي لن يجهد نفسه طالما أن طريق الحصول على المغانم يسير.

---

(٨) مجلة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٢٣ شوال سنة ١٣٩٩ هـ.

(٩) رواه ابن ماجه.

(١٠) رواه الطبراني.

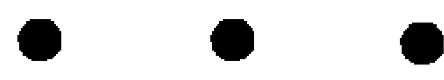
ولقد أثبتت الدراسات الاجتماعية الحديثة أن من الأسباب الجوهرية لتفشى الرشوة إسناد الأمر إلى غير أهله بتولى غير الأكفاء مناصب ومراكز تتصل بمصالح ورقاب الناس .... وهذا ما حدث عندما استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على الصدقة ، فلما قدم بها قال : هذا لكم وهذا أهدى إلىّ .... فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيقول : هذا لكم ، وهذا هدية أهديت إلىّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة ..... » (١١) .

ولذلك نظر الإسلام للرشوة على أنها نوع من أكل أموال الناس بالباطل ، واعتبرها سحتاً يمحق البركة ويجلب غضب الله ، فضلاً عن أنها سبب مباشر فى الفساد الخلقى لمن يسلك هذا المسلك ويحصل على رشوة .

لقد سد الشرع الحكيم جميع منافذ الرشوة إلى حد أن يقول الرسول ﷺ : «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية ، فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا » (١٢) .

لقد أدرك الرسول الكريم الآثار المترتبة على أكل الأموال بالباطل عموماً ، ومنها الرشوة ، فى حين لم تدركها المجتمعات المتحضرة الآن إلا بعد أن بدأت تشعر بتدهور اقتصادها مثلما تدهورت أخلاقها .

وهكذا سبق الهدى النبوى سائر الأنظمة الحديثة فى إدراك مضار الرشوة والعمل على القضاء عليها .



مرض يصيب المرأة المتبرجة :

قال ﷺ : «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» (١٣) .

---

(١١) رواه مسلم .

(١٢) رواه أبوداود .

(١٣) رواه مسلم .

وقال أيضاً: «لا تقبل صلاة حائض (١٤) إلا بخمار» (١٥).

لقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة أن تبرج المرأة وعريها يعد وبالاً عليها، حيث أشارت الإحصائيات الحالية إلى انتشار مرض السرطان الخبيث فى الأجزاء العارية من أجساد النساء، ولا سيما الفتيات اللاتى يلبسن الملابس القصيرة....

فلقد نشر فى المجلة الطبية البريطانية: أن السرطان الخبيث «الميلانوما الخبيثة Aalignant Aelonoma والذى كان من أندر أنواع السرطان ـ أصبح الآن فى تزايد وأن عدد الإصابات فى الفتيات فى مقتبل العمر يتضاعف حالياً، حيث يصبن به فى أرجلهن، وأن السبب الرئيسى لشيوع هذا السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء القصيرة التى تعرض جسد النساء لأشعة الشمس فترات طويلة على مر السنة، ولا تفيد الجوارب الشفافة أو «النايلون» فى الوقاية منه..... (١٦).

وقد ناشدت المجلة أطباء الأوبئة أن يشاركوا فى جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنه يقترب من كونه وباء.

إن ذلك يذكرنا بقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١٧).

ولقد حل العذاب الأليم ـ أو جزء منه ـ فى صورة السرطان الخبيث الذى هو أخبث أنواع السرطان... وهذا المرض ينتج عن تعرض الجسم لأشعة الشمس والأشعة فوق البنفسجية فترات طويلة وهو ما توفره الملابس القصيرة أو ملابس البحر على الشواطىء، ويلاحظ أنه يصيب كافة الأجساد وبنسب متفاوتة.

ويظهر أولاً كبقعة صغيرة سوداء، وقد تكون متناهية الصغر، وغالباً فى القدم أو الساق وأحياناً بالعين... ثم يبدأ بالانتشار فى كل مكان واتجاه، مع أنه يزيد

---

(١٤) أى بلغت سن المحيض أى البلوغ.

(١٥) رواه الإمام أحمد وأبوداود والترمذى وابن ماجه.

(١٦) المجلة الطبية البريطانية B.M.J فى عددها الصادر ١٩٧٢/١/١٥ (بتصرف).

(١٧) سورة الأنفال: ٣٢.

وينمو فى مكان ظهوره الأول ، فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخذ ، ويغزو الدم ويستقر فى الكبد ويدمرها .... وقد يستقر فى كافة الأعضاء ، ومنها العظام والأحشاء بما فيها الكليتان ، ولربما يعقب غزو الكليتين البول الأسود نتيجة لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازى .. وقد ينتقل للجنين فى بطن أمه ....

ولا يمهل هذا المرض صاحبه طويلاً ، كما لا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقى أنواع السرطان ؛ حيث لا يستجيب هذا النوع من السرطان للعلاج بجلسات الأشعة (١٨) .

من هنا تظهر حكمة التشريع الإسلامى فى ارتداء المرأة للزى المحتشم الذى يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة .. مع السماح لها بكشف الوجه واليدين .. فلقد صار واضحاً أن ثياب العفة والاحتشام هى خير وقاية من عذاب الدنيا المتمثل فى هذا المرض فضلاً عن عذاب الآخرة ...

ثم هل بعد تأييد نظريات العلم الحديث لما سبق أن قرره الشرع الحكيم من حجج يحتج بها لسفور المرأة وتبرجها ؟!!



السنة النبوية سبقت النظريات الحديثة :

للتدليل على ذلك نكتفى بإيراد موقف واحد حدث لمحام مسلم ذهب إلى ألمانيا ؛ ليحصل على درجة الدكتوراه فى القانون ... فى ذات مرة كان يستمع إلى محاضرة يلقيها أحد الأساتذة الألمان الكبير .. موضوعها « سوء استغلال الحق » (١٩) .. وفى محاضرته ادعى أنه واضع قانون نظرية « سوء استغلال الحق » .. فقام المحامى المسلم مستنكراً قائلاً له : أنت تقول إنك واضع هذه النظرية ؟

فيجيبه المحاضر الألمانى بالإيجاب .

---

(١٨) المجلة الطبية البريطانية B.M.J فى عددها الصادر ١٩٧٢/٣/٢٥ (بتصرف) .

(١٩) أى لك حقوق ولكنك قد تسىء استغلالها .

فيرد عليه المحامى المسلم بحجة دامغة بقوله :

« لقد جاءت هذه النظرية منذ أربعة عشر قرناً ، وجاء بها الإسلام .

فيرتبك المحاضر الألمانى ارتباكاً شديداً ، وتحدث جلبة واضطراب فى القاعة .. وجىء بالمستشرقين ، ليناقشوا هذا المحامى المسلم .. وجاءوا بكتب السيرة النبوية .. وأخرج المحامى للمستشرقين قصة من سيرة رسول الله ﷺ فحواها أن الرسول ﷺ كان جالساً فجاءه صحابى يشكو من أن أحد الصحابة له نخلة فى بيته أى أن البيت مملوك للصحابى الشاكى ، والنخلة مملوكة للصحابى المشكو منه لأنه يتردد كثيراً على بيت الصحابى الشاكى ، وذلك ليشذبها ويلقحها ويعتنى بها . فأحضر الرسول صاحب النخلة .. وقال له : « إما أن تهب النخلة لصاحب البيت ، وإما تبيعها له بالمال ، أو تقطعها » .

هذا بيان لمسألة من مسائل سوء استغلال الحق قد تناولتها السنة النبوية قبل النظريات الحديثة ..

ولم يملك المحاضر الألمانى إلا أن يعدل فى محاضرته ، ويعترف بهذا السبق للإسلام حيث يقول : لقد ظننت أننى جئت بشىء جديد ، ولكن الإسلام سبقنى إليه منذ أربعة عشر قرناً .. لقد جاء اعتراف هذا المحاضر القانونى بشهادة تفوق للرسول الأمى الذى يأتيه الوحى من رب العزة .

الفصل الثامن

علم الاجتماع

- غياب الأم عن الطفل
- الاختلاط
- طبيعة فكر المرأة
- الفطرة الإنسانية
- الكذب
- الظاهرة الإجرامية
- الزكاة والصدقات

علم الاجتماع :

غياب الأم عن الطفل :

قال ﷺ :

« المرأة أحق بولدها مالم تزوج » (١) ..

قد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الطفل الملتصق بأمه يكون نموه الجسمى والعقلى والنفسى أسرع من غيره الذى لا يجد هذه الظروف .. وبالتالى فإنه يكون بعيداً عن الأمراض بأنواعها .

وفى أمريكا توجد مدارس للمضطربين نفسيا ، ليس فيها إلا أبناء الأغنياء؛ نظرا لارتفاع المصروفات المدفوعة للابن تعويضا للرعاية الخاصة التى يتلقاها فيها .. وهؤلاء الأبناء دائمو الشكوى من قلة الحب والحنان الذى يحصلون عليه فى البيت الذى تتوافر فيه كل إمكانات الحياة المادية المعاصرة .. وذلك لافتقادهم لأمهاتهم .

كما قد أجريت دراسة نفسية فى دور الحضانة بألمانيا الغربية .. وتبين أن ثلثى أطفال الحضانة مصابون بأمراض واضطرابات نفسية ، سببها عدم وجودهم مع أمهاتهم اللاتى قد انشغلن فى وظائفهن خارج البيت (٢) .

وتذكر الدراسة أن أكثر إصابة هؤلاء الأطفال بالأمراض النفسية تبدو فى صورة عدم تركيز، وشرود دائم ، وعصبية زائدة ، وفشل فى تكوين صداقات ، فضلاً عن ظهور كثير من الحالات بينهم تعانى من صعوبات ومتاعب فى النطق ، ومصّ الأصابع ، وقضم الأظافر، وربما التبول اللاإرادى .

---

(١) أخرجه الدارقطنى فى سننه .

(٢) يرجع الخبراء أن سبب كثير من حالات التأخر الدراسى الذى يلحق بالطفل هو ابتعاد أمه عنه بوجه عام .

وقد لاحظت الدكتورة إيدايلين إحدى عالمات الاجتماع أن سبب الأزمات العائلية فى أمريكا، وسر كثرة الجرائم فى المجتمع ــ هو غياب الطفل عن أمه، ووجوده مع زوجة أب أو ما شابه ذلك.. كما لاحظت أيضاً أن الزوجة التى تترك بيتها لتضاعف دخل الأسرة تجنى على طفلها بصورة أو بأخرى.

وغير ذلك من دراسات أثبتت بالدليل القاطع وبالمشاهدات الواقعية الحكمة العلمية للحديث الشريف.

الاختلاط (٣) :

قال ﷺ : «لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم» (٤).

لقد أثبتت التجارب والمشاهدات الواقعية، أن اختلاط الرجال بالنساء يثير فى النفس الغريزة الجنسية بصورة تهدد كيان المجتمع.. كما ذكر أحد العلماء الأمريكيين (٥) «بأن الرئيس الأمريكى الراحل كنيدى، قد صرح عام ١٩٦٢ بأن مستقبل أمريكا فى خطر؛ لأن شبابها مائع منحل غارق فى الشهوات، لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين؛ لأن الشهوات التى أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية».

ونتيجة للاختلاط الكائن بين الطلاب والطالبات فى المدارس والجامعات ذكرت جريدة لبنانية : «أن الطالبة فى المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها، والوسائل التى تتجاوب مع هذه العاطفة.. وأن أكثر من ستين فى المائة من الطالبات سقطن فى الامتحانات، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن فى الجنس أكثر من دروسهن، وحتى مستقبلهن» (٦).

---

(٣) يتبين الحث على عدم الاختلاط بصورة قاطعة فى قوله تعالى : (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) سورة الأحزاب : ٥٣. وذلك هو الدليل الأول الذى نواجه به دعاة الاختلاط والتحرر.

(٤) متفق عليه.

(٥) «جورج بالوشى» فى كتابه الثورة الجنسية.

(٦) جريدة الأحد اللبنانية فى عددها رقم ٦٥٠.

وهذا مصداق لما يذهب إليه الدكتور ألكس كارليل إذ يقول : «عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز نوعا من المادة التى تتسرب بالدم إلى دماغه وتخدره ، فلا يعود قادراً على التفكير الصافى » (٧) .

ولذا فدعاة الاختلاط لا تسوقهم عقولهم ، وإنما تسوقهم شهواتهم ، وهم يبتعدون عن الاعتبار بما وصلت إليه الشعوب التى تبيح الاختلاط والتحرر فى العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة .. من ذلك ما أورده تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية عن تحقيق جرائم الأحداث ، من أن أهم أسبابها الاختلاط بين الشباب من الجنسين بصورة كبيرة .. وغير ذلك من شواهد يومية تقرر الحكمة العلمية والعملية للحديث الشريف ، مما يعد إطاراً منهجياً فى تحديد مجالات العلاقات الاجتماعية بوجه عام ، وبين الرجل والمرأة بوجه خاص .

ثم إن الاختلاط من أعظم آثاره تلاشى الحياء الذى يعتبر سياجاً لصيانة وعصمة المرأة بوجه خاص ، ويؤدى إلى انحرافات سلوكية تبيح تقليد الغير تحت شعار الحضرية والتحرر، ولقد ثبت من خلال فحص كثير من الجرائم الخلقية ، أن الاختلاط المباح هو المسئول الأول عنها .

وماذا يقول أنصار الاختلاط عن فضيحة وزير الصناعة فى إنجلترا مع سكرتيرته التى أشارت إحدى الصحف (٨) إليها بأنها تنتظر مولوداً منه ، الغريب أن صحيفة التايمز البريطانية قد أشارت إلى أن مارجريت تاتشر، قد لعبت دورا رئيسياً فى إقناع وزير الصناعة «باركتسون» بعدم الزواج من سكرتيرته ، والاستمرار مع زوجته على أمل ألا يحط زواجه من السكرتيرة من قدره .

وهذا الخبر يحمل فى مضمونه أثر الاختلاط بين وزير وسكرتيرته بدون محرم .. هذا من ناحية ، من ناحية أخرى يحمل عدم الاعتراف بما نجم عن هذا الاختلاط ، وهذا يعنى بصورة غير مباشرة عدم الاعتراف بالاختلاط والاستمرار فيه .

---

(٧) الإنسان ذلك المجهول : ألكس كارليل .

(٨) صحيفة الجمهورية فى الثامن عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٣ .

فالاختلاط فى عمومه يحمل من الآثار السيئة ما جعل كثيراً من الدعاة المخلصين يدعون إلى تنظيمه فى إطار محدد يمنع شروره .. مما يعد رجوعاً إلى الهدى النبوى الشريف منذ أربعة عشر قرناً .

طبيعة فكر المرأة :

قال ﷺ : «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب(٩) من إحداكن» (١٠) .

العلم الحديث يؤكد أن النساء ناقصات عقل .. فقد أكدت دراسات المعهد البريطانى للطب العقلى ، أن معدل الزيادة فى وزن مخ الإناث يقل عن معدله عند الذكور ، وأن التركيب الجسمانى للمرأة غير التركيب الجسمانى للرجل ، فعلى سبيل المثال قد ثبت أن قلب المرأة بالنسبة إلى قلب الرجل لايزيد عن ٤ : ٥ أو ٢٤٠ جرام : ٣٠٠ جرام .

والمرأة على اختلافها فى كثير من أعضاء الجسم ، أثبت الطب أن تركيبها يقرب من تركيب الطفل ؛ ولذلك فهى مثله (فى طفولته) .. أى أنها ذات إحساس بالغ الحدة .. تنقاد مثله بسرعة مذهلة ، وتتقلب بين صور من الشعور تقلبا غير متزن فى الفرح والحزن ، والكره والحب ، وغير ذلك من أحاسيس ومشاعر ، مما ينقص من تعقلها للأمور ، ونظرتها لها فى منطق وروية ، مما جعلها بالتالى شديدة التردد ، كثيرة التحول والتقلب .

كما أثبت العلم الحديث أن المرأة يتملكها حب حاد لكل ما هو لامع ، ولكل ما يزينها ، ويزيد من جمالها وفتنتها ، مما يؤثر فى سلوكياتها ، وفى قياسها للأمور التى تعرض عليها (١١) .

لذلك كان طبيعيا أن تعجز المرأة عن القيام ببعض الأعمال التى لاتواكب قدرتها وفطرتها ، مما يجعلها ناقصة فى إدراك ما يفوقها من قدرات بالصورة التى يتميز

---

(٩) أى لذى عقل .

(١٠) أخرجه أبوداود .

(١١) نشر ذلك فى صحيفة الجمهورية فى عددها الصادر يوم ٨ ــ ١١ ــ ١٩٧٧ (بتصرف) .

بها الرجل ، والذى ينعكس بصورة أو بأخرى فى حيويتها وتمتعها بالقدرة على التركيز والتفكير المنظم ، أو فى الالتزام الدينى بصورة دائمة كالرجل .. وهذا ما أنبأ عنه الحديث الشريف بصورة علمية موجزة .

الفطرة الإنسانية :

قال ﷺ :

« كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .. » (١٢) .

لقد قرر علماء التربية المحدثون أهمية دور الوالدين فى التربية وعظم تأثيرهما ؛ ولذلك فعليهما حسن التربية والتوجيه ؛ لأنهما أكثر الناس التصاقا بالطفل وأبلغ تأثيراً عليه ؛ ولذا فالحديث يتضمن توجيهاً تربوياً يحث على ضرورة الاهتمام بالتربية الأولية للإنسان منذ صغره ، والحرص على توجيهه الوجهة السليمة وعدم إهمال أمره ، وبذل الجهد اللازم لتنميته وتشكيله ، ولاسيما أن الأب والأم هما حجر الزاوية فى بناء شخصية الطفل .

يضاف إلى ذلك أن الطفل يتأثر بالتلقين، والتقليد والمحاكاة لمن هم حوله فى المجتمع وخاصة الأسرة ومن فيها من أفراد ، لما لهم من التأثير المباشر توجيها وإرشاداً وتنشئة .

وهذا أصل أصيل تقوم عليه التربية بصفة عامة ، وهو أن التربية عملية مكتسبة وليست وراثية.. وهذا ما سبق أن قرره الرسول ﷺ فى حديثه الشريف الذى لم يرد فيه « يؤسلمانه » لأن الإنسان فى أصل خلقه مستعد بفطرته لقبول الخير والإخلاص لله .. وهذه حقيقة ثابتة نستنتج منها أن كل سلوك طيب وأفعال خيرة مردها إلى الفطرة التى خلق عليها الإنسان .. وهى فطرة الإسلام .. أما ما سوى ذلك من سلوك سيىء وصفات شريرة عارضة فردها إلى ما اكتسبه الإنسان من احتكاكه بالآخرين ، وتعامله معهم وتأثره بهم (١٣) والشواهد حولنا ترينا كيف

---

(١٢) متفق عليه .

(١٣) وهذا يذكرنا بقول الشاعر صالح بن عبد القدوس :

واختر قرينك واصطنعه تفاخرا	إن القرين إلى المقارن ينسب
واحذر مصاحبة اللئيم فإنه	يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب

يكون خلق الإنسان فى بدايته خلقاً كاملاً لا نقص فيه ولا تشويه ولا قصور، إلا أن الظروف البيئية المحيطة به من فساد وانحراف تجعل منه منحرفا عن الفطرة السوية .

وبهذا أثبت الحديث الشريف حقيقة تربوية أيدتها النظريات التربوية الحديثة .

الكذب :

قال ﷺ :

« إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (١٤) .

وقال أيضاً :

« دع ما يريبك إلى مالا يريبك ، فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة » (١٥) .

لقد أثبت علم النفس الحديث أن الإنسان السوى هو الذى يحيا على الفطرة السليمة الخالية من الشوائب التى تعكر صفو المناخ الفطرى ، فتعكر صفو النفس والجسد والعقل ... ومن تلك الشوائب الكذب الذى يلجأ إليه الشخص ؛ ليحقق بعض أغراضه ومطامعه ، فيصير فى حالة من القلق والهموم التى هى بالتالى تحدث تغيرات عضوية وأمراضا حقيقية تضر بالصحة ضرراً بالغاً ..

وقد جاء فى تقرير علمى : « إن القلق والضغوط النفسية لا تسهل الإصابة بالسرطان فحسب ، بل إنها تساعد المرض على الانتشار إلى بقية أجزاء الجسم ؛ ولذلك فإن منع مسببات التوتر العصبى والقلق هو الحل الأمثل لمنع الإصابة بالأمراض » (١٦) .

وحيث إن القلق والضغوط أحد مسبباتها الرئيسية الكذب برغم ما يتصوره

---

(١٤) متفق عليه .

(١٥) رواه الترمذى .

(١٦) تقرير منشور بمجلة الرابطة السعودية عدد فبراير ١٩٨٩ (بتصرف) .

الكاذب على أنه هداية للطريق السليم والخلاص من المواقف المعقدة والتصرف تجاهها بيسر وسهولة، ويعتبر علماء النفس المحدثون أن الكاذب الذى يتخذ من الكذب وسيلة لتحقيق مطامعه ومآربه.. مريض؛ لأنه لم يستطع أن يحقق ذلك عن طريق الصدق، ولو عالج نفسه بنفسه، وصلحت حالته النفسية لم يلجأ إلى الكذب الذى يجر عليه متاعب نفسية وهو لا يدرى، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٧)

وتشير التقارير النفسية إلى أن حياة الكاذب تتسم بالقلق والاضطراب النفسى، وباعثه على ذلك هو الخوف الدائم من افتضاح أمره.. ويظل هذا الباعث بداخله يستأصل من نفسه الطمأنينة والسكينة.. وذلك على النقيض من الإنسان الصادق الذى يتحرى الصدق فى أقواله وأفعاله، حيث يستمتع بحياة نفسية مطمئنة سعيدة.

ويخلص علم النفس الحديث إلى تلك النتيجة وفحواها:

أن الكاذب بعيد عن الطمأنينة النفسية؛ لأن النفس الإنسانية بطبيعتها جبلت على الفطرة.. ورغم أن الكاذب يتمادى فى كذبه حتى يتصور أن الكذب هو الأسلوب الأمثل فإن طبيعة النفس الفطرية تصطرع معه، فتشعره بالقلق وعدم الاطمئنان لمسلكه الذى سلكه بالكذب، فضلا عن ذلك فإن الكاذب يعيش فى شك لا يثق فى أحد، ويتصور أن الناس مثله يكذبون.

ويضيف أحد البحوث العلمية من أمريكا هذه النتيجة:

إنه كلما كانت الكذبة شنيعة كان التأثير أشد وأنكى على الجسد.. فضلاً عن أن الكذب فى عمومه قد يؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم وأمراض عضوية أخرى (١٨).

من ذلك كله نتبين أثر الكذب فى النفس وسلبه لسكينتها وطمأنينتها، وبالتالى يمكننا أن ندرك الأثر الطيب للصدق عندما تتحراه النفس فى حياتها،

---

(١٧) سورة البقرة: ٩.

(١٨) تقرير منشور بمجلة الرابطة السعودية عدد فبراير ١٩٨٩ (بتصرف).

وهذا ما سبق أن قرره الرسول ﷺ فى أحاديثه الشريفة من أكثر من أربعة عشر قرناً.

الظاهرة الإجرامية:

قال ﷺ:

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً.. » (١٩).

وقال: « البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » (٢٠).

لقد تبين لدى الباحثين المعاصرين أن دراسة العلاقة بين الدين والجريمة فى المجتمعات الإسلامية أسهل من دراستها فى غيره من المجتمعات، لا لشىء إلا لوضوح التأثيرات التى يزاولها الدين الإسلامى فى المجتمعات التى تدين بالإسلام.. إما بصفة عامة كما فى المجتمعات التى تطبق الشريعة الإسلامية وأحكامها، أو بصفة خاصة كما فى المناسبات التى تسود فيها روح الإسلام مثل شهر رمضان.

وهناك تأثيران أساسيان واضحان يزوالهما الإسلام:

التأثير الأول: أنه دين يدعو إلى الفضائل وينفر من الرذائل، ويحض على فعل الخير ونبذ الشر.

التأثير الثانى: هو العقوبات الرادعة التى قررتها الشريعة الإسلامية لمن يخرج على أحكامها ولا يراعى ضوابطها ومبادئها.

ويمكن استخدام المنهج الإحصائى فى دراسة العلاقة بين الهدى النبوى والظاهرة الإجرامية فى المجتمات الإسلامية بهدف التحقق من صحة الفرض القائل بأن للدين أثراً مانعاً من الانحراف والإجرام، وذلك بطرقتين: الأولى يتم فيها

---

(١٩) رواه الترمذى.

(٢٠) رواه مسلم.

إجراء حصر شامل لكل ما وقع من جرائم فى دولة تطبق الشريعة الإسلامية لمدة خمس سنوات على الأقل، ثم تفرغ البيانات الرقية فى جداول بحسب تصنيف للجرائم حتى يسهل إجراء المقارنة بين هذه البيانات ومثيلتها فى دولة أو عدة دول لا تطبق الشريعة الإسلامية، رغم أنها دول يدين أغلب رعاياها بالإسلام، فالعامل المتغير الوحيد بين الدول التى تجرى المقارنـــة بينها هو تطبيق الشريعة الإسلامية، فى حين تثبت العوامل الأخرى، وذلك لمعرفة أثر هذا العامل فى المشكلة، وهل هو سلبى أو إيجابى، كما يمكن معرفة ما يسمى بالمعدل، وهو نسبة مرتكبى الجرائم إلى كل مائة ألف من السكان.

أما الطريقة الثانية فيستخدم فيها المنهج الإحصائى أيضاً بهدف التحقق من صحة الفرض نفسه بإدخال العامل المتغير أى التشريع الإسلامى خلال فترة معينة من السنة مع تثبيت العوامل الأخرى.. وهذه الدراسة تجرى على نفس المجتمع، ولكن خلال فترتين زمنيتين مختلفتين: إحداهما يظهر فيها أثر الدين، مثال ذلك: شهر رمضان.. والثانية لا يظهر فيها هذا الأثر كبقية شهور السنة، ثم يتم حصر الجرائم التى وقعت فى الفترتين وإجراء المقارنة بينها لمعرفة اتجاهها خلال الفترة التى كانت المشاعر الدينية فيها لدى الناس فى حالة نشاط.. وهل كان هذا الاتجاه نحو الارتفاع أو نحو الانخفاض أو أنه لم يختلف عن الاتجاه العام طول العام؟

كذلك يمكن تحديد معدل الجريمة خلال شهر رمضان ومقارنته بالمعدل فى الشهور الأخرى لمعرفة ما إذا كان قد طرأ عليه تغيير من نوع ما أم لا.

فأثبتت الدراسات والبحوث التى جرت لتقصى أثر الدين فى المنع من الإجرام أو الحَدّ منه، والتى كشفتها التحليلات الإحصائية للبيانات الخاصة بالجريمة ــ أن التشريع الإسلامى قد لعب دوراً واضحاً بالنسبة للجرائم ــ بصفة عامة ــ ولتلك الجرائم التى ترتكب فى شهر رمضان بصفة خاصة.

كذلك أظهرت البيانات أن الجرائم التى ترتكب فى شهر رمضان تقل كثيراً عن إجمالى ما يقع منها فى غيره من الشهور.. مما يدل على أن الدين الإسلامى بتشريعاته وهدى رسوله الكريم يلعب دوراً هاماً فى المنع من الجريمة أو الحد منها

والوقاية من الإجرام والانحراف، بعكس ما وصل إليه علماء الغرب بالنسبة لغيره من الأديان، حيث بينت لهم بحوثهم أنها لاتلعب مثل هذا الدور.

وهكذا يمكننا أن نستفيد من الدين الإسلامى تشريعاً قرآنياً وسنة نبوية فى مكافحة الجريمة والحد منها، باعتباره عاملاً هاماً فى سلامة المجتمع بالاسترشاد بسنة رسوله وهديه الشريف.

الزكاة والصدقات:

قال ﷺ:

«إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم...» (٢١).

وقال: «لاصلاة لمانع الزكاة ــ قالها ثلاثاً ــ والمتعدى (٢٢) فيها كمانعها» (٢٣).

لقد أثبتت الدراسات والتجارب فى دول العالم، ولاسيا الدول الكبرى ــ أن الحد من ظاهرة التضخم المالى تتطلب اتباع سياسة منهاج الإسلام وتشريعاته.. وأن الزكاة تلك الفريضة الإسلامية التى تدعو للتقارب بين طبقات الأغنياء والفقراء هى وسيلة ناجحة للمساعدة على الحد من التضخم المالى؛ حيث إن الزكاة عندما تعطى للفقراء تعتبر انتقالا للمنفعة المالية، وبالتالى تزيد القيمة الحقيقية للمال؛ لأن المال عندما يزيد مع الفرد تبعد القيمة النقدية لديه عن حد المنفعة، فيستخدم كثيراً من المال فى كماليات هذه الحياة، على العكس من الفرد الذى يمتلك مالا أقل، فهو ينتفع بكل أمواله فى الاتجاه الصحيح قدر الإمكان... وهكذا عندما ينتقل المال بهذه الصورة من الغنى إلى الفقير، فإن ذلك سيؤدى إلى زيادة القيمة الحقيقية للنقد.. وهذا معناه الحد من التضخم.

---

(٢١) رواه الطبرانى فى الأوسط الصغير عن على كرم الله وجهه.

(٢٢) المتعدى فيها هو الذى يدفعها لغير أهلها.

(٢٣) راوه ابن عباس فى مسند الإمام الربيع.

والزكاة ــ أيضاً ــ تؤدى إلى النمو الاقتصادى للفرد، حيث إن الإسلام قد رفض اكتناز المال، بل حارب أصحابه حين قال:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢٤).

وبذلك تدفع الزكاة أصحاب المال لاستثمار أموالهم؛ حتى تدر عائدا يمكنهم من أداء تلك الفريضة، وإلا تآكل رأس المال بلا نفع أو جدوى.

ولذلك حث الإسلام على استثمار المال فى العمل والإنتاج؛ لأنه سيعود على المجتمع كله بالقوة والثراء؛ لأن تنمية المال بالاستثمار ستزيد من عدد المنتفعين بالزكاة والصدقات، فضلاً عن إتاحة فرص عمل جديدة ودخول إضافية لمن يعملون فى ماله، وبالتالى يعود النفع على صاحبه وعلى المجتمع؛ لأن احتياجاته ستصبح موفورة.

ومن ثم فقد أباح الإسلام لولى الأمر أن يتدخل للحيلولة دون تعطيل الأموال وتوجيهها إلى فرص الاستثمار.. وهناك التطبيق العملى لهذا الحق والذى يتمثل فى موقف عمر بن الخطاب من أرض العتيق التى أقطعها الرسول ﷺ مَنْ أهمل استزراعها، فاستعاد منه عمر مالم يقدر على استزراعه، ووزعه على من يقدر من المسلمين على إحيائه.. وعمر بن الخطاب يستند فى ذلك إلى حديث الرسول ﷺ:

«ليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين» (٢٥).

ففى ذلك بيان تشريعى يدعو إلى عدم تعطيل المال المتمثل هنا فى أرض زراعية لم يستطع من اقتطعت له أن يستزرعها ويستفيد ويفيد المجتمع منها.

ولقد أثبت علم الاقتصاد الحديث أن فلسفة الزكاة تعتمد على ظاهرة اقتصادية هامة، وهى «تناقص الميل الحدى للاستهلاك، وتزايد الميل الحدى للادخار» عند

---

(٢٤) سورة التوبة: ٣٤.

(٢٥) رواه أبوعبيد فى الأموال (فقه السنة).

الأغنياء وبالعكس «تزايد الميل الحدى للاستهلاك وتناقص الميل الحدى للادخار» عند الفقراء... ويترتب على تلك الظاهرة زيادة الطلب الفعال، كما ذهب إلى ذلك عالم الاقتصاد الكبير «كينز» ومحصلة ذلك انتعاش اقتصادى سواء من ناحية الاستهلاك أو الاستثمار.

وهذا الانتعاش يكون مانعا من الوصول إلى حالة الركود الاقتصادى الذى يترتب على زيادة المدخرات ونقص الاستثمار وقلة الطلب الفعال؛ إذ أن الزكاة تقلل من انسياب الأموال بشدة إلى مجرى الادخار وتحول جزءاً منها إلى مجرى الاستهلاك، الأمر الذى يمنع من الركود الاقتصادى أو يعمل على تخفيضه.. فعند تدقيق النظر في جوانب إنفاق الزكاة نجد أن لها آثاراً اقتصادية حميدة، فمثلا الفقراء والمساكين، وهم من أوائل المستحقين للزكاة ــ عندما يعطون نصيبهم من الزكاة فإنهم سوف ينفقونها فى قضاء حاجاتهم الاستهلاكية، سواء أكانت سلعاً أم خدمات، وبذلك يدعمون تيار الاستهلاك.. والمعروف اقتصادياً أن زيادة الاستهلاك تؤدى إلى الاستثمار(٢٦).

هذا، وللزكاة خصيصة هامة، وهى أنها لا تخرج إلا بعد تكامل النصاب.. أى بعد أن يكون فائضاً عن الحاجات الأصلية للمكلف.. حيث إنها لو وجبت بدون اشتراط النصاب الفائض عن الحاجات الأصلية، لكان معنى ذلك أنها تدفع من وحدات الدخل الأولى المخصصة للحاجات الأساسية للشخص، وهى ذات منفعة أكبر من وحدات الدخل الأخيرة، وبذلك تكون الخسارة أكبر على دافع الزكاة، وبالتالى على المجتمع، ولكن اشتراط توافر النصاب زيادة عن الحاجات الضرورية يجعل الزكاة تخرج من وحدات الدخل الأخيرة ذات النفع الأقل للغنى فى مفهوم الزكاة، وتئول إلى الفقير الذى تزداد عنده منفعة الوحدات الأخيرة من الدخل بالمقارنة بالغنى، والنتيجة النهائية هى زيادة المنفعة الكلية للمجتمع.

ومن الإعجاز التقديرى للزكاة كوسيلة من وسائل إعادة توزيع الدخل وتذويب الفوارق بين الطبقات ــ أنها تفرض فى جميع الأموال النامية تقريباً، فهى قد

(٢٦) الآثار الاقتصادية للزكاة: الدكتور إبراهيم فؤاد محمد: بحث منشور بمجلة الوعى الإسلامى فبراير ١٩٧٦ ــ (بتصرف).

فرضت أصلاً فى النقدين الذهب والفضة ، والحلى إذا خرجت عن الحدود المعموله للتزين أو اقتنيت بقصد الادخار لا التزين أو بقصد الفرار من الزكاة .. وفى هذه الأحوال تجب فيها الزكاة .

كما فرضت الزكاة أصلاً فى عروض التجارة والماشية والزرع والثمار .. وبعد ذلك ظهرت أوراق البنكنوت كبديل للذهب ، وبذلك وجبت فيها الزكاة .

ومن ذلك يتضح أن الزكاة تتسم بعموميتها وشمولها لجميع أنواع الأموال تقريبا ، وبذلك تكون قاعدة تطبيقها متسعة بحيث تساعد على إعادة توزيع الدخل والثروة .

وكذلك تتسع قاعدة فرض الزكاة لتشمل عدداً كبيراً من الأشخاص ، مما يوسع من قاعدة المكلفين أداءها ، فضلاً عن اعتدال نسبتها إذ هى ٢,٥ ٪ من الأموال و٥ ٪ أو ١٠٪ على الزروع إن كانت تسقى بالآلات أو غيرها .

ومن الحكمة البالغة فى تقدير الزكاة أنها لا تكون مرة واحدة فى العمر، بل إنها تتكرر سنويا ، وهذا ما يجعلها أداة دائمة فى إعادة التوزيع .. وهذا ما نادى به الاقتصاديون فى العصر الحاضر من أن إعادة التوزيع يجب ألا تقتصر على مرة واحدة ، بل يجب أن تجرى على فترات دورية .. والإسلام عندما حدد مصارف الزكاة لبعض الطوائف لم يقررها إلا بعد أن تستنفد هى وسائلها فى الارتزاق ، ومع أنه جعل الزكاة حقاً لا منحة وتفضلاً ، فإنه لم يغفل أن اليد العليا خير من اليد السفلى ؛ لذلك حث على الاستغناء عن طريق العمل .. وفى هذا جمع الإسلام بين الحرص على أن يعمل كل فرد ، وبين أن يعين المجتمع المحتاج بما يسد حاجته وييسر له الحياة الكريمة [٢٧] .

---

(٢٧) المرجع السابق (بتصرف) .

الفصل التاسع

علم التربية الجمالية

- علم التربية الجمالية
- فضل مكة على سائر البقاع
- الدورة القمرية وإرتباطها بالتقويم الهجرى
- خاتمة
- المراجع
- دراسات
- أبحاث ومقالات
- محاضرات وندوات

علم التربية الجمالية :

قال ﷺ : «إن الله تعالى جميل يحب الجمال»(١).

ترى الفلسفة الحديثة أن الجمال يكمن في الحركة.. حركة القلب في عاطفة الحب،.. حركة العاطفة في البذل.. حركة الضمير في يقظته.. حركة الذهن في أفكاره وأدائه لرسالته.. كما يكون في السكون بعد الثورة، وفي الصمت بعد الضجيج.. وفي التأمل بعد الدرس.. في الوفاء بعد الوعد، كما يكون في النمو وفي العمق، وفي التجديد والخلق والإبداع والابتكار.

ولذا فَحَثُّ الرسول ﷺ على التحلي بمظهر وسلوكيات الجمال من منطلق جمال الله تعالى الذي يحب الجمال ـ يعد أساساً دعوة إلى إعلاء الغرائز.. كما قرر علم التربية الجمالية الحديثة أنها تؤدي إلى السمو بالمشاعر الإنسانية التي تؤدي بالتالي إلى سمو الأخلاق والسلوكيات.

فقد ثبت أن الشيء الجميل هو الذي يريح نفس الإنسان، ويجعل النظر إليه محبباً، ويبعث على التخيل.. والتخيل لا يكون إلا عن طريق النظر والتأمل، فإدراك الجمال لموضوع ما معناه التأمل بعمق فيه وإدراك ما فيه من اتساق وانسجام أثناء التخيل، ويبصر الإنسان فيه معنى من المعاني التي ارتبطت بينه وبين نفسه.. وفي هذا إدراك لحقيقة الجمال.

ونحن ندرك القيمة الجمالية لموضوع معين بما تثيره أجزاؤه المتناسقة المنسجمة من التخيل.. فالإنسان يشعر بجمال المنظر المعين؛ لأنه يبعث على إثارة مكنونات نفسه، ويجد المرء فيه تزويداً لما تتجاوب به حوائج قلبه، وصدى ملحا بين أصدائه النفسية.. والاستمتاع الجمالي يغذي الوجدان والرغبات المكبوتة داخل النفس؛ ولذلك فإنه يعمل على تجديد طاقات المرء وتنويع مظاهرها واتزان نواحيها.

---

(١) رواه مسلم.

وفى الطبيعة والتأمل فى بدائعها استمتاعات جمالية لاحصر لها ؛ لأنها تجعل الإنسان يرى نفسه عنصراً من عناصر تلك الطبيعة مندمجاً بين أعضائها . والحديث الشريف الذى نحن بصدده له هدف سام فى هذه الحياة ، كما يقرر علماء التربية الجمالية ، وهو الدعوة لأن يكون هدف الإنسان متجهاً لا إلى المصلحة الخاصة به وحدها ، بل ولا حتى العامة أو المجتمع البشرى فحسب .. وإنما يتجه به إلى الله الذى يحب الجمال فى شتى صوره ؛ ولذا كان حب الجمال عبادة لله ، وهذا ما قرره الحديث الشريف بصورة ضمنية تحث على توخيه قلباً وقالباً .

ومن هنا يوصى الإسلام بأن يكون المرء حسن المنظر ، كريم الهيئة .. بل إنه قد جعل التجمل واتخاذ الزينة من آداب الصلاة مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ (٢) .

كما روت السنة المطهرة أن رجلا دخل على النبى ﷺ وهو ثائر شعر الرأس واللحية ، فأشار إليه الرسول الكريم يأمره بإصلاح شعره ، ففعل الرجل ثم رجع فى هيئة حسنة فقال الرسول الكريم : « أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » (٣) وبهذا يريد الإسلام أن يغرس الإحساس بالجمال فى نفس كل مسلم ، ويجعله يحس بأن الزينة مطلوبة .. وليس هذا فقط ، بل إنه يستنكر من يعترض على هذا فى أسلوب قوى أخاذ فى قوله تعالى :

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ (٤) .

ولذا نجد الحديث الشريف يطبع فى نفس الفرد ضرورة البحث عن الجمال وملابساته والتحلى بها ؛ لأنه يدرك أن أول درجة فى الصفاء النفسى هو الإحساس بالجمال النفسى ، واستمتاعها بالتأمل الهادىء ؛ إذ كثيراً ما تغطى ماديات الحياة على معنوياتها ، وكثيراً ما تغطى على نداء القلب والضمير .. فإذا صفت النفس صارت قابلة للاستمتاع بالجمال ؛ لأن الصفاء والجمال ـــ كما يقرر

---

(٢) سورة الأعراف : ٣١ .

(٣) رواه مالك .

(٤) سورة الأعراف : ٣٢ .

علم الجمال الحديث ـ يمثلان الحركة الحسية فى الحياة ، وفى ارتفاع قيمة النفس ، وبذلك يعيش المرء فى سعادة وراحة نفسية تساعده على أداء رسالته فى الحياة .

وبهذا يعد الحديث الشريف علامة بارزة فى علم الجمال الحديث ، حيث ربط بين الإنسان والكون من خلال التأمل وتذوق آيات الجمال فى خلق الله ، وبالتالى بالحرص على ألا يبتعد عن منهاج الله تعالى فى حبّه للجمال وعبادته ، خلال ما يحبه الله ويرضاه .. الأمر الذى ينعكس على شخصية الإنسان وسلوكياته ، كما أثبت العلم الحديث ، مما يجعل الحديث قاعدة علمية فى أصول التربية الحديثة التى تهتم بالتربية الجمالية للاستمتاع بالحياة .

فضل مكة على سائر البقاع :

قال ﷺ : « إن مكة هى أحب بلاد الله إلى الله » .

الاكتشاف العلمى الجديد الذى كان يشغل العلماء ، والذى أعلن فى يناير ١٩٧٧ يقول : إن مكة المكرمة هى مركز اليابسة فى العالم ، وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمى للوصول إليها ، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة استعان فيها العلماء بالحاسب الآلى .

ويروى العالم المصرى الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب فيذكر : « أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفاً تماماً ؛ حيث كان يجرى بحثاً ليعدّ وسيلة تساعد كل شخص فى أى مكان من العالم ، على معرفة وتحديد مكان القبلة ؛ لأنه شعر فى رحلاته العديدة للخارج أن هذه هى مشكلة كل مسلم عندما يكون فى مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة ، أو يكون فى بلاد غريبة ، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات فى الخارج ؛ لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين فى عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها .

وبعد أن وضع الخطوط الأولى فى البحث التمهيدى لإعداد هذه الخريطة ، ورسم عليها القارات الخمس ، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذى أثار دهشته .. فقد وجد العالم المصرى أن موقع مكة المكرمة فى وسط العالم .. وأمسك بيده

« برْجلاً » وضع طرفه على مدينة مكة ، ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعاً منتظماً .. ووجد مكة ــ في هذه الحالة ــ هي مركز الأرض اليابسة .

وأعد خريطة العالم القديم قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا ــ وكرر المحاولة فإذا به يكتشف أن مكة هي أيضاً مركز الأرض اليابسة ، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام (٥) ... ويضيف العالم الدكتور حسين كمال الدين : « لقد بدأت بحثى برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض ، عن مدينة مكة ، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة ، وبعد ذلك رسمت حدود القارات ، وباقى التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط ، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات الرياضية المعقدة ، بالاستعانة بالحاسب الآلى (٦) لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة ، وكذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلى لرسم خطوط الطول وخطوط العرض ، لهذا الإسقاط الجديد .. وبالصدفة (٧) وحدها اكتشفت أننى أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة وحدودها خارج القارات الأرضية الست ، ويكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية (٨) .

مكة إذن ــ بتقدير الله ــ هى قلب الأرض ، وهو بعض ما عبر عنه العلم فى اكتشاف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعى للتجاذب المغناطيسى ، يوائمه ظاهرة عجيبة قد تذوقها كل من زار مكة حاجًا أو معتمراً بقلب منيب ، فهو يحس أنه ينجذب فطرياً إلى كل ما فيها .. أرضها .. وجبالها وكل ركن فيها .. حتى ليكاد لو استطاع أن يذوب فى كيانها مندمجاً بقلبه وقالبه .. وهذا إحساس مستمر منذ بدء الوجود الأرضى .

---

(٥) مكة المكرمة مركز العالم : د. حسين كمال الدين (مجلة العلم والإيمان عدد ٢٠ عام ١٩٧٧) (بتصرف).

(٦) أى الكومبيوتر.

(٧) من الأفضل عقائدياً أن يقال قدراً ولكننا أوردنا كلمة « بالصدفة » للمحافظة على سياق قوله .

(٨) مكة المكرمة مركز العالم : د. حسين كمال الدين (مجلة العلم والإيمان عدد ٢٠ لعام ١٩٧٧) .

«والأرض شأنها شأن أى كوكب آخر تتبادل مع الكواكب والنجوم قوة جذب تصدر من باطنها .. وهذا الباطن يتركز فى مركز لها يصدر منه ما يمكن أن نسميه إشعاعاً .. ونقطة الالتقاء الباطنية هى التى وصل إليها عالم أمريكى فى علم الطوبوغرافيا بتحقيق وجودها وموقعها جغرافياً ، وهو غير مدفوع لذلك بعقيدة دينية ، فقد قام فى معمله بنشاط كبير مواصلاً ليله بنهاره وأمامه خرائط الأرض وغيرها من آلات وأدوات فإذا به يكتشف ــ عن غير قصد ــ أن مركز تلاقى الإشعاعات الكونية هو مكة» (٩) .

ومن هنا تظهر حكمة الحديث الشريف المبنية على قول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (١٠) .

ومن ثم يمكن التعرف على الحكمة الإلهية فى اختيار مكة بالذات ليكون فيها بيت الله الحرام ، واختيار مكة بالذات لتكون نواة لنشر رسالة الإسلام للعالم كله .. وفى ذلك من الإعجاز العلمى فى الحديث الذى أظهر أفضلية مكانها عن سائر البقاع .

الدورة القمرية وارتباطها بالتقويم الهجرى :

قال ﷺ : «يوم صومكم يوم نحركم» .

كشفت البحوث العلمية (١١) الأخيرة أن الدورة القمرية مرتبطة بأيام الأسبوع ، وتتكرر بنفس هيئتها على طول الزمان .. حيث تبدأ بيوم أحد وتنتهى بيوم سبت .. كما أن بدايات كل الشهور فيها معروفة وثابتة تتكرر كما هى فى كل دورة ، مما يؤكد أنها دورة أزلية بدأت مع نشأة الكون .

ففى السنة الأولى لأى دورة قمرية يكون أول يوم فى رمضان يوم جمعة .. ووقفة عرفات يوم الأحد . وفى السنة الثانية يكون أول رمضان يوم الثلاثاء ..

---

(٩) مكة والمركز المغناطيسى للأرض : محمد البوهى (بتصرف) .

(١٠) سورة الشورى : ٧ .

(١١) من تحقيق صحفى بعنوان : صيدلى مصرى يكتشف أسرار الدورة القمرية (صحيفة الأهرام أكتوبر ١٩٨٦) .

وتأتى وقفة عرفات يوم أحد .. وفى السنة الثالثة يأتى أول رمضان يوم السبت .. ووقفة عرفات يوم الجمعة .. وفى السنة الرابعة يأتى أول رمضان يوم الخميس .. ووقفة عرفات يوم الثلاثاء .. وفى السنة الخامسة يأتى أول رمضان يوم الاثنين .. ووقفة عرفات يوم السبت .. وفى السنة السادسة يأتى أول رمضان يوم الجمعة .. ووقفة عرفات يوم الخميس .. وفى السنة السابعة يأتى أول رمضان يوم الأربعاء .. ووقفة عرفات يوم الاثنين .. وفى السنة الأخيرة من كل دورة يأتى أول رمضان يوم الأحد .. وتكون وقفة عرفات يوم السبت ..

وبذلك يتفق يوما الصيام والنحر فى السنوات الثالثة والسادسة والثامنة من هذه الدورة .. وهى السنوات الثلاث الكبيسة التى يبلغ عدد أيام كل منها ٣٦٦ يوماً .. ويتفق ذلك مع حديث الرسول ﷺ عن العلاقة بين يومى الصيام والنحر .. والذى ذكره ﷺ فى إحدى السنوات الكبيسة ، وهى التى قصدت بالحديث المذكور ... وهكذا ترتبط أيام الأسبوع فى هذه الدورة ارتباطاً وثيقاً بالتقويم الهجرى بما لا يدع مجالاً للشك .. وهذه الدقة لا ترتبط وتختص بشهر رمضان فقط (١٢) ولكن بكل الشهور الهجرية الاثنى عشر.

وقد نشأ الباعث على التفكير فى هذه الدورة لدى أحد الباحثين (١٣) من حديث الرسول ﷺ حيث قال : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السموات والأرض .. » وهكذا تولد التفكير بأن هناك دورة قمرية ثابتة تتكرر كل عدد معين ثابت من السنوات ، فأخذ البحث الاحتمالات المختلفة حتى وصل إلى نتائج مذهلة يرتبط فيها التاريخ الحسابى مع اليوم نفسه وتتكرر منذ الأزل .

وبذلك أبطل العلم الحديث الدعاوى المغرضة الحاقدة القائلة بأن من المستحيل وضع تقويم سليم للسنة القمرية ، وأنه ليس هناك قاعدة يعتمد عليها لمعرفة بدايات الشهور القمرية ، وبالتالى فإنه من المستحيل وضع تقويم قمرى مضبوط .... إلخ .

إن الذين يزعمون أن التقويم القمرى السنوى غير مبنى على قاعدة سليمة إنما يكشفون للناس سرَّ جهلهم بعلم التقويم القمرى وافتقارهم إلى قواعده الحتمية

---

(١٢) ذكر شهر رمضان على سبيل المثال .

(١٣) الباحث أنور قدرى .

وقوانينه اليقينية .. لقد نسوا أو تناسوا أن الله عز وجل جمع الشمس والقمر فى آية ، واحدة وحكم عليهما بحكم واحد فقال :

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (١٤) .

فكيف يستقيم القول بأن الشمس بحسبان .. وأن القمر ليس بحسبان ؟!!

وإذا كانت الصلاة منوطة أوقاتها بحساب النظام الشمسى فإن جميع العبادات والمعاملات والأحكام فى الإسلام منوطة مواقيتها بنظام القمر.

بل لقد أصبح للحكم على صحة رؤية الهلال أو إمكان رؤيته شروط توصل إليها علماء الفلك منها :

ــ أن تكتمل الدورة القمرية الشهرية حول الأرض ومقدارها : (٤٤ د / ١٢ س / ٢٩ ى) (١٥) .

ــ أن يتم القران فعلاً بين الشمس والقمر بعد ذلك .

ــ أن تمضى فترة من الزمن على مولد الهلال تتراوح بين ٨ : ١٤ ساعة .

ــ أن يكون غروب الهلال تالياً لغروب الشمس ، وليس العكس .

ــ أن تخلو السماء من معوقات الرؤية من غيم أو دخان أو غبار أو أى شوائب أخرى تعكر صفو الجو وتحول دون رؤية هلال وليد ضعيف النور هزيل الجسم قليل المكث فى الفضاء سريع الزوال (١٦) .

وهذه الشروط وغيرها إنما هى من اختصاص علماء الفلك كما سبق أن أشرنا ..

ولقد توصل علماء التقويم الرياضى أخيراً إلى قواعد حسابية وقوانين رياضية حتمية لا تحتاج إلى المراصد وقياساتها ولا إلى الأبراج وأجهزتها .... ومن هذه القواعد فى معرفة أوائل الشهور القمرية ــ بعد التأكد من صحة الأول من المحرم ومن المعرفة اليقينية لليوم الأسبوعى الذى بدأت به السنة القمرية :

---

(١٤) سورة الرحمن : ٥ .

(١٥) رموز فلكية اتفق عليها علماء الفلك .

(١٦) تحديد أوائل الشهور العربية بين العلم والشريعة : محمد كاظم حبيب (بحث منشور بمجلة منبر الإسلام) عدد يوليو ١٩٩١ (بتصرف) .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من صفر هو نفس اليوم الأسبوعى للثالث من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من ربيع الأول هو نفس اليوم الأسبوعى للرابع من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من ربيع الآخر هو نفس اليوم الأسبوعى للسادس من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من جمادى الأولى هو نفس اليوم الأسبوعى للسابع من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من جمادى الآخرة هو نفس اليوم الأسبوعى للثانى من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من رجب هو نفس اليوم الأسبوعى للثالث من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من شعبان هو نفس اليوم الأسبوعى للخامس من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من رمضان هو نفس اليوم الأسبوعى للسادس من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من شوال هو نفس اليوم الأسبوعى للأول من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من ذى القعدة هو نفس اليوم الأسبوعى للثانى من المحرم .

ـ أن يكون اليوم الأسبوعى للأول من ذى الحجة هو نفس اليوم الأسبوعى للرابع من المحرم .

هذا ، ولما كان اليوم فى الحسابات الفلكية الإسلامية يبدأ من المغرب وينتهى عنده من اليوم الثانى ، فإن الليل يسبق النهار ؛ ولذلك فإن هلال الشهر الذى أوله

(السبت) يرى بُعيْد مغرب يوم الجمعة ... وإن هلال الشهر الذى أوله (الاثنين) يرى بُعيْد [illegible] يوم الأحد ... وهكذا [١٧].

ومن هنا ندرك أن الحساب القويم هو الذى يحدد مواقيت ظهور الأهلة الشهرية، بحيث تتطابق مع الرؤية الشرعية [١٨] للهلال الوليد.



---

(١٧) المرجع السابق (بتصرف).

(١٨) غنى عن البيان أن الهلال الوليد فى أول الشهر يُرى من جهة الغرب بُعيد غروب الشمس.. أما هلال آخر الشهر الذى وصفه الله عز وجل بأنه كالعرجون القديم فإنه يرى من جهة الشرق قبيل شروق الشمس ثم يكون محاقاً لا يرى حتى يولد من جهة الغرب من جديد.

الفصل العاشر

من قصص الإعجاز العلمى فى الإسلام

- ليلى شربت من ماء زمزم وشفيت من السرطان
- طبيب مسلم يكتشف سراً هاماً فى لندن لعلاج مريض من سرطان الدم
- يسرية شفيت من قرحة قرمزية فى عينها اليسرى بعد استعمالها ماء زمزم
- إخراج حصاة بدون جراحة
- رائد فضاء سمع الآذان فى القاهرة فقال : سمعت هذا فوق القمر
- خاتمة
- المراجع
- دراسات
- أبحاث ومقالات
- محاضرات وندوات

من قصص الإعجاز العلمى فى الإسلام :

« ليلى شربت من ماء زمزم وشفيت من السرطان » :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة «المسلمون»(١) الدولية قصة عجيبة لسيدة مغربية تدعى ليلى الحلو التى انتشر السرطان فى كل صدرها، وقرر الأطباء أنها لن تعيش أكثر من ثلاثة أشهر(٢)؛ ولذا اقترح عليها زوجها أن تسافر إلى مكة لأداء العمرة.

وبالفعل سافرت السيدة للأراضى المقدسة واعتكفت ببيت الله، وداومت على الشرب من ماء زمزم، واكتفت برغيف وبيضة واحدة طوال اليوم.. وظلت تمضى أيامها فى الصلاة وتلاوة القرآن الكريم والدعاء.

وتقول السيدة المغربية: «أربعة أيام لم أعرف فيها الليل من النهار، تلوت القرآن الكريم من أوله حتى نهايته، كنت فى صلواتى أطيل سجودى، وأبكى بحرارة على ما فاتنى من خير، وعلى ما أضعته من فرائض.. وبعد أيام وجدت أن الكويرات الحمراء التى كانت تشوه جسدى قد اختفت نهائيا، أحسست أن شيئاً ما حدث، وقررت العودة إلى باريس حيث كنت أعالج هناك، وذلك للتشاور مع الأطباء.

وهناك كانت دهشة الأطباء الذين أعادوا الكشف عدة مرات غير مصدقين الحالة الغريبة الموجودة أمامهم... فقبل أيام أخبروها أن السرطان فى كل مكان فى صدرها، والآن لا أثر لهذا السرطان(٣).. فماذا حدث؟

---

(١) الصادرة فى لندن بتاريخ ٦ من يوليو ١٩٨٥.

(٢) وذلك من خلال التقارير الطبية التى أثبتت انتشار السرطان فى الثدى الأيسر.

(٣) بعد الفحص الدقيق للغاية ذكر التقرير بعد شرب ماء زمزم أنه لم يتم ملاحظة أية آفة داخلية، والجيوب خالية، وصورة القلب عادية.

وتركتهم بين تعجبهم ودهشتهم وعادت إلى المغرب تروى قصة الشفاء من السرطان بعد أن شربت من ماء زمزم.

واستردت تلك السيدة صحتها واختفى السرطان نهائيا .. وتختتم قصتها قائلة :

«هناك قوة خفية لا تصل العقول إلى إدراكها ألا وهى قوة الله.. وما دامت هذه القوة معك فاملأ بالأمل حياتك ؛ لأن الله معك ، وأبواب السماء مفتوحة دائماً لك ، وعلوّك فى الأرض لا يأتى إلا عن طريق اتباعك الله.. فلا تنس الله » .

ونحن حيال تلك القصة نتذكر أنه قد ورد عن النبى ﷺ بعض الأحاديث فى فضل ماء زمزم ومن ذلك قوله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب له .. إن شربته تستشفى به شفاك الله ، وإن شربته ليشبعك أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله » .

فشرب ماء زمزم مقترن بالنيّة الصادقة والتوجّه الخالص إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو وحده الذى يشفى من الآلام والأسقام بدليل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٤).

... ثم إن شرب ماء زمزم ، يعطى قوة روحيّة وطاقة معنوية بها يستطيع المسلم أن يتهيأ للتغلب على سموم الجسد وبعض أمراضه (٥).

ولذا عد شرب ماء زمزم بأنه طعام وشفاء سقم ، وبأنه لما شُرب له ، وذلك بالنظر إلى عجز الأطباء بعلمهم ودراساتهم عن تحقيق الشفاء ، فضلاً عن أن السرطان مرض يحتاج إلى عملية استئصال لوقف انتشاره ، وليس لعلاجه .. ثم

---

(٤) سورة الشعراء : ٨٠

(٥) قامت السيدة المغربية بنشر كتاب عن تجربتها مع الشفاء بعنوان «فلا تنس الله».. وكتب المقدمة الدكتور المهدى بن عبود ، وقال فيها : إن هذه الحالة الطبية تفتح الأبصار والقلوب التى فى الصدور لمن كان له عقل سليم ، ولقد مرت أحوال مثلها ، وستأتى حالات أخرى تشبهها ؛ لأن الواقع هو ما يكتنزه الإنسان فى نفسه من طاقة حيوية وروحية يستمد قوتها من عالم الغيب الذى هو بيد الله.. وعالم الغيب هذا أفسح من عالم الشهادة.

تأتى فعالية ماء زمزم المقرونة بالنية الصادقة ، والإيمان الخالص بما أخبرنا به الرسول ﷺ بأنه شفاء لمن يستعين به متوجهاً لله أن يشفيه .

ألا يعدّ ذلك إعجازاً هائلاً يسجل للإسلام ولرسوله الكريم ؟!!

● « طبيب مسلم يكتشف سراً هاماً فى لندن لعلاج مريض من سرطان الدم ».

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الإعتصام (٦) قصة فحواها :

أن أحد مرضى السرطان فى بريطانيا كشفت التحليلات المختلفة انتشار مرض سرطان الدم فى جسمه بشكل ملحوظ ، مما دعا الاستشارى البريطانى بالمركز العالمى إلى استبقاء المريض وإعطائه العلاج المناسب للحد من انتشار المرض ، ومحاولة السيطرة عليه .

وعندما علم المريض (٧) بحقيقة مرضه ومدى خطورته التى تكمن فى عدم إمكان السيطرة على المرض والوفاة خلال فترة محدودة .. عندما علم بهذه التفاصيل اتجه إلى الله عز وجل بالدعاء وتلاوة القرآن والصلاة ، مؤمنا أن القرآن .. هو..

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ (٨)

وأن الله تعالى يذكر فى كتابه الكريم :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٩).

ومن العجيب ــ والكلام للدكتور سالم اليافعى مساعد الاستشارى الإنجليزى ــ أن أحد المرضى وهو بريطاني الجنسية كانت لديه نفس الحالة تقريباً .. وعندما علم بتفاصيلها انهار تماما ، ونقص وزنه وضعف حتى مات بعد ستة أشهر ، فى

(٦) عدد محرم وصفر ١٤٠٦ هـ (نوفبر وديسمبر سنة ١٩٨٥).

(٧) هو باكستانى الجنسية .

(٨) سورة فصلت : ٤٤

(٩) سورة الإسراء : ٨٢

حين أن المريض المسلم المؤمن بربه، كانت التحليلات الأسبوعية تثبت وقف انتشار المرض وانتهاءه بعد أقل من ستة أشهر.. خرج بعدها من المستشفى متوجهاً إلى بيت الله الحرام ليؤدى عمرة الشكر لله.

ولذا نجد أن الإيمان بالله وقدرته — له تأثير عظيم فى نفسية المريض، ويساعده على الشفاء؛ حيث إن الدعاء واللجوء إلى الله يثير ويفجر قوى سرية فى جسم الإنسان تقوى بها مناعته، وذلك بفرز هرمونات ومواد كيميائية داخلية تضفى عليه حيوية عجيبة، لاسيما وأن مرض السرطان من الأمراض المستعصية التى تخضع لثلاثة أنواع من العلاج: وهى الجراحة، والأشعة (الكوبالت) والمواد الكيميائية... ولكن التأثير النفسى المنبثق من الإيمان الكامل، واليقين الصادق، بأن الله تعالى هو الشافى كان وراء شفاء المريض الباكستانى الذى تغلغل فى روحه قول الله تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

وهذا يذكرنا بما قاله الإمام ابن قيم الجوزية: «إن شروط الشفاء بالقرآن ألا يوجد دواء غيره، إضافة إلى الإيمان الصادق واليقين الكامل، الذى لا تشوبه شائبة بأن الله تعالى هو الشافى».

وهذا مما دفع الدكتور سالم اليافعى إلى تقديم بحث عن «القرآن والسرطان» فى «المؤتمر العالمى الثالث للطب الإسلامى(١٠) تناول فيه تأثير القرآن فى المعالجات الطبية للأمراض، ولاسيما مرض السرطان.

من هنا نرى أن التفسير الطبى للشفاء بالقرآن لا يأتى من منطلق إسلامى فحسب وإنما من منطلق شفاء نفسى ينعكس على الكيان الإنسانى برمته.

وهذا فى حدّ ذاته إعجاز علمى قد أخبر به الله تعالى حين قال:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

---

(١٠) عقد فى تركيا فى أكتوبر عام ١٩٨٤.

وهذا ما أثبته العلم الحديث ، فضلاً عن المشاهدات الدينية التى لا تترك مجالاً للشك والجدال .

● يسرية شفيت من قرحة قرمزية فى عينها اليسرى بعد استعمالها ماء زمزم :

يذكر أحد الإخوة المسلمين بعد عودته من أداء فريضة الحج فيقول :

حدثتنى سيدة فاضلة اسمها «يسرية عبد الرحمن حراز» كانت تؤدى معنا فريضة الحج ضمن وزارة الأوقاف عن المعجزة التى حدثت لها ببركات ماء زمزم فقال : إنها أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية فى عينها اليسرى نتج عنها صداع نصفى لا يفارقها ليل نهار ، ولا تهدىء منه المسكنات .. كما أنها كادت تفقد الرؤية تماماً بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها .. وذهبت إلى أحد كبار أطباء العيون فأكد أنه لا سبيل إلى وقف الصداع إلا باعطائها حقنة تقضى عليه ، وفى نفس الوقت تقضى على العين المصابة فلا ترى إلى الأبد .

وفزعت السيدة «يسرية» لهذا النبأ القاسى ، ولكنها كانت واثقة برحمة الله تعالى ومطمئنة إلى أنه سيهيىء لها أسباب الشفاء رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل فى ذلك .. ففكرت فى أداء عمرة ؛ كى تتمكن من التماس الشفاء مباشرة من الله عند بيته المحرم .

وجاءت إلى مكة وطافت بالكعبة ، ولم يكن عدد الطائفين كبيراً وقتئذ ، مما أتاح لها ــ كما تقول ــ أن تقبل الحجر الأسود ، وتمس عينها المريضة به .. ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوبا منه وتغسل به عينها .. وبعد ذلك أتمت السعى ، وعادت إلى الفندق الذى تنزل به .

فوجئت بعد عودتها إلى الفندق أن عينها المريضة أصبحت سليمة تماماً ، وأن أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يذكر !!

أية معجزة هذه التى حدثت وقلبت تقارير الأطباء رأساً عقب ؟ !!

.. كيف تم استئصال قرحة بدون جراحة ؟! .. كيف تعود عين ميئوس من شفائها إلى حالتها الطبيعية بدون علاج ؟!

وعلم الطبيب المعالج بما حدث، فلم يملك إلا أن يصيح من أعماقه «الله أكبر» إن هذه المريضة التى فشل الطب فى علاجها عالجها الطبيب الأعظم فى عيادته الإلهية التى أخبر عنها رسوله الكريم:

«ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفى شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله ــ وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهى هزمة [11] جبرائيل وسقيا [12] الله إسماعيل» [13].

إخراج حصاة بدون جراحة:

ومثل هذه الحكاية وحكايات أخرى نسمع عنها من أصحابها أو نقرؤها، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على صدق ماقاله الرسول ﷺ عن هذه البئر المباركة «زمزم».

فيروى صاحب هذه الحكاية الدكتور فاروق عنتر فيقول:

«لقد أُصِبْتُ منذ سنوات بحصاة فى الحالب، وقرر الأطباء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية، ولكننى أجلت إجراء العملية مرتين.. ثم عنَّ لى أن أؤدى عمرة، وأسأل الله أن يمن علىَّ بنعمة الشفاء وإخراج هذه الحصاة بدون جراحة؟!

وبالفعل سافر الدكتور فاروق إلى مكة، وأدى العمرة وشرب من ماء زمزم، وقبل الحجر الأسود، ثم صلى ركعتين قبل خروجه من الحرم، فأحس بشىء يجزه فى الحالب، فأسرع إلى دورة المياه، فإذا بالمعجزة تحدث، وتخرج الحصاة الكبيرة، ويشفى دون أن يدخل غرفة العمليات.

لقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء الذين كانوا يقومون على علاجه، ويتابعون حالته.

---

(١١) هزمة أى حفرة.

(١٢) أى أخرجه الله لِتسقِى إسماعيل فى أول الأمر.

(١٣) رواه الدارقطنى والحكم وزاد: وإن شربته مستعيذا أعاذك الله.

« رائد فضاء سمع الأذان فى القاهرة فقال : سمعت هذا فوق القمر » .

وهذه قصة أخرى تدلل على الإعجاز العلمى فى الإسلام مؤداها : رائد الفضاء الأمريكى : « نيل أرمسترونج » أول من هبط على سطح القمر أشهر إسلامه ، نشرت ذلك الصحف الماليزية ، ونقلته عنها بعض الصحف التى تصدر فى سيلان .

ذكرت هذه الصحف أن مصر وراء إسلام رائد الفضاء الأمريكى .. وقصة هذا الخبر تعود بدايتها إلى عدة سنوات عندما كان فى زيارة للقاهرة ضمن جولة له حول العالم .. وبينما كان رائد الفضاء « نيل أرمسترونج » يتجول فى أحياء القاهرة الشعبية سمع أذان الظهر ينطلق من الجوامع ، فأصابه الذهول ، وتساءل وسط دهشته البالغة عن هذا الصوت .. فأجابه مرافقوه وهم متعجبون من ذهوله : إنه الأذان الذى ينبه المسلمين إلى الصلاة .. ولم يجبهم رائد الفضاء الأمريكى واستمر فى ذهوله الشديد وسط دهشة المرافقين له .

وبعد أيام قليلة ألقى بقنبلة ، وأعلن لكل من حوله فى صراحة ودون تردد أن كلمات الأذان التى رنت فى أذنه دون أن يفهمها هى نفس الكلمات التى سمعها عندما مسّت أقدامه لأول مرة سطح القمر !!

وعقب عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عكف على دراسة الدين الإسلامى دراسة كاملة للتعرف على قواعد الدين بالتفصيل .. وفى النهاية أعلن إسلامه .

وكان من نتيجة هذا الموقف الذى أعلنه رائد الفضاء الأمريكى واعتناقه للإسلام أن تم فصله من عمله فى مركز الفضاء .. ولكنه قال فى قوة : فقدت وظيفتى ، ولكننى وجدت الله .

هذا الخبر إن دل فلا يدل إلا على عالمية الإسلام للكون كله ، وتجاوز شعيرة من شعائره وهى الأذان إلى أجواز الفضاء ، مما حيّر العلماء فى تلك الظاهرة ، وزاد الذين آمنوا إيماناً .. إنها ظاهرة يقف متصاغراً أمامها العلم الحديث ويشهد للإسلام فى الوقت ذاته بإعجازه العظيم ، وتحديه لكل من يتجاهله أو يحاربه .

خاتمة

لم تكن غايتنا فى الكشف عن إعجاز الإسلام فى المجالات العلمية هى إقحام ما جاء به الإسلام فى مقررات الكشوف العلمية، أو ما وصل إليه العلم الحديث من نتائج واختراعات.. فإن ذلك يذهب بكثير من جلال الإسلام وروعته، بل وينزل من قدره حين يجرى مع العلم والعلماء فى ميدان، ويكون مبلغ فضله وإعجازه أنه من فرسان هذه الحلبة أو من السابقين فيها فحسب.. فالإسلام وما جاء به فى غنى واسع عن ذلك كله، فمن السفه والجهل أن يستجدى له هذا الزبد الذى يذهب جفاء.. فخاصية العلم التطور والتغير، أما خاصية الإسلام فهى الثبات والخلود.. فكيف يتوافق هذا مع ذاك ؟!.

وإنما الذى كان منا ومايكون فى نظرتنا إلى الإسلام من هذا الجانب، هو أن ننظر فى كتاب الله تعالى، وأحاديث رسوله الكريم، بما أرانا العلم من آيات جديدة فى هذا الوجود، وبما كشف لنا من حقائق فى هذا الكون الرحيب،.. فإذا انكشف لنا فهم جديد لآية من آيات الكتاب الكريم، أو لحديث من أحاديث الرسول ﷺ فى آفاق هذه النظرة وعلى ضوئها.. أخذنا بها، وجعلناها وجهاً من وجوه الفهم للإسلام.. وإلا أمسكنا عن أن نقول قولاً يحاسبنا عليه الله تعالى.. أو على الأقل يجيء من هو أحدّ نظراً وأدق فهماً، فيرى مالا نرى، ويفهم عن الإسلام مالا نفهم، فينزلنا إلى مصاف الغافلين الجاهلين والعياذ بالله.

ولذا فلقد انتهجت منهجاً استكشافياً ابتعد عن الافتراض أن فى القرآن أو الحديث مفهوماً منطوياً على كذا وكذا من نظريات علمية تتكشف إذا عرضت عليها آيات القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ، ويتأول لها ويشتط فى التأويل، كما حدث لبعض الباحثين الذين اطلعت على بحوثهم ورفضتها؛ لأن إعجاز الإسلام بما أودع فيه من أسرار وحقائق يحُدّث الناس عن آياته فى كل عصر وآن.. وبذلك يخلد إعجازه ويتجدد على الزمن، فيلتقى بالعقول كلها تجد فيه زادها ومرعاها من

غير حاجة إلى تعسف فى التأويل أو التواء بالمعنى إلى غير ما آريد له.. وبهذا يسلم الإسلام من متناقضات النظريات العلمية التى تتطور بحدوث كشف علمى جديد أو تطور جزئية من جزئياتها.

وما العلم إذن ــ إلا أداة تعين على فهم بعض المستور من أسرار الكتاب والسنة وما أودع فيهما من علم وحكمة.. فالعلم هو الذى يجعل لنا نظرا كاشفاً لبعض ما فى آيات القرآن من روائع وعجائب، وما فى الأحاديث من حكمة ودراية.. فالعلم ــ إذن ــ هو الذى يخدم قضية الإسلام بما يكشف عن جوهر هذا الدين، وما حمل كتابه الكريم من آيات بينات تهدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم وفى هذا يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (١).

وفى هذا يتجلى إعجاز الإسلام فى خلوده على مدار الزمن، واحتفاظه بمكانته من السمو والهيمنة على كل ما تبلغه العقول من مدركات، وما تلده الحياة من أسرار؛ ولذا فإعجاز الإسلام ــ فى نظرنا ــ سر لا يقع موقع الحس وتحاليله، ولا يستجيب لدواعى الحواس وتحاليلها كشأن النظريات الوضعية التى وضعها العلماء والفلاسفة.

فالإعجاز فى الإسلام يرمى إلى مقصد أبعد من مجرد تقرير هذه الحقيقة المقررة.

ولذا فقد يتساءل البعض.. إذن.. ما هو المقصد الذى سعيت إليه؟ وما الثمرة المرجوة من ورائه والتى هدفت إليها؟ فأقول: لقد قصدت من دراسة الإعجاز الإسلامى أولاً وقبل أى مقصد آخر، أن أقيم فى قلب المسلم صلة وثيقة بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ، حيث إن الإيمان الذى يقع فى قلوب أكثر المسلمين من الإسلام هو إيمان ساكن بارد متجمد.. لا يثير شعوراً، ولا يحرك عاطفة، ولا يقيم وازعا يستمد أحكامه وسلطانه منه.

---

(١) سورة الإسراء: ٩

إنه إيمان غادة وميراث تقاليد.. لا أكثر من هذا.. والشيء إذا اتصل بالإنسان اتصال العادة الموروثة المألوفة برد شعوره نحوه، وفتر إحساسه وتأثره به.

ولهذا فقد صار إحساس المسلمين بالإسلام إلى هذا الحد من البرود والجمود.. يقرءون ما يقرءون من كلام الله وأحاديث رسوله، فلا يختلف بهم الحال عما كانوا عليه قبل أن يقرءوا !!..

كما قصدت من دراسة الإعجاز الإسلامى أن أزيل غشاوة الجحود والنكران من نفوس أولت ظهرها للإسلام، وناصبته العداء.

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢).

ولذا فإننى أدعو غيرى من الباحثين أن يرتادوا سبل الكشف عن أوجه الإعجاز العلمى فى الإسلام، حيث إن ما قمت به وما قام به السابقون من الباحثين، من الاغتراف من محيطه ليس سوى غرفة من قطرات ماء قليلة لا تشفى ولا تروى من ظمأ المعرفة به.

وكما سبق أن أشرت أننى كنت متخوفاً حذراً من الكتابة فيما أنا بصدده.. أتمتم فى نفسى قائلاً: «كيف أجرؤ على السباحة فى خضم محيط، وأنا مازلت لا أجيد السباحة فى جدول صغير!».

ولكن...

وأنا هكذا إذا بى تتغشانى طمأنينة وسكينة من الله تعالى، فتسكن النفس، وتهدأ.. فلا أجد لها اضطرابا ولا للقلب وجيفاً.. فأعجب لهذا الاطمئنان العجيب الذى لم أتوقعه، وأنا أستعد لهذا الموضوع الجليل المهيب.

واستغرقت فى نفسى.. وكنت كمن وضع فى طيات سر من أسرار الله، لا يفطن إليه أحد ولو كان ذات صاحبها.. ولكن ما إن دنوت منه.. من القرآن.. كتاب الله المكنون، حتى زالت من نفسى كل وحشة، وزايلها كل

---

(٢) سورة الحج: ٥٤

تخوف.. وبدا لى الطريق واضحاً ذلولاً.. وتجلى أمامى قوله تعالى مهدهدا مطمئناً:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٣).

وهتفت نفسى ــ عندئذ ــ بلى.. يا الله.. القرآن كله يسر.. لا عسر فيه.. قريب من كل نفس تدنو منه فى صدق وإخلاص، تبغى الاغتراف للارتواء منه.

رأيت القرآن مع علوه ذلك العلو السامق البعيد.. قريب المنال، سهل المورد.. ولكن لمن جاء إليه بقلب منيب سليم، ونفس واعية مدركة.

ليس القرآن فحسب.. وإنما ما بعد القرآن من أحاديث وسنن لرسوله ﷺ

فالإسلام ليس وقفاً على العلماء والباحثين وحدهم.. كما أنه ليس منزلاً لطبقة أو طائفة دون الأخرى.. وإنما هو دين الناس جميعاً.. من رب الناس جميعا.. كلٌ يأخذ منه على قدر ما يبلغ جهده، وتتسع مدارك نفسه وفكره.. فليس المهم هو الكم الذى نأخذ.. وإنما المهم أن نحسن الانتفاع بما نأخذ ولو كان قليلاً، بل وأقل من القليل.

ومن ذلك كان من أهم أوجه إعجاز الإسلام أن يحتفى بالعلم ويدعو إليه فى أول آياته؛ لأن العلم يتوخى البحث عن الحقيقة.. حقيقة الأمور التى تمتزج بالوجدان، فتقوم على ضبط النوازع، واستقامة السلوك والأفعال، وتكون النتيجة كما ذكرها الله تعالى فى كتابه:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا ﴾ (٤).

فالعلم يلتقى مع دين الإسلام لقاء الماء، يدفع به السيل إلى صدر المحيط فيذوب فيه، ويصبح بعض مائه، ولكن لا نأخذ منه إلا كما يحسو الطير من ماء البحر.. إذ ليس العلم كله إلا قطرات قليلة من هذا البحر، وبالتالى لم يكن ما استعرضته هنا إلا قطرة من تلك القطرات القليلة، أود أن تنال بعض البعض من القبول والاستهواء.

---

(٣) سورة القمر: ١٧

(٤) سورة فاطر: ٢٨

وحسبى ذلك.. يحدونى الأمل الكبير فى الله تعالى أن يجعلها فى عداد أعمالى يومِ العرضِ عليه.

وما توفيقى إلا بالله.. عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد كامل عبد الصمد

المراجع

- القرآن الكريم
- رياض الصالحين : محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الألبانى .
- إحياء علوم الدين : الإمام أبو حامد الغزالى .
- لسان العرب : جمال الدين أبو الفضل بن منظور تحقيق عبد الله على وآخرون .
- الطب النبوى : ابن قيم الجوزية .
- معجزات فى الطب للنبى محمد ﷺ : د . محمد سعيد السيوطى .
- بين الطب والإسلام : د . حامد الغوابى .
- الطب الإسلامى : د . محمود نجيب .
- الحركات الرياضية : واصل الحلوانى .
- وقاية الأسنان وصحة الأبدان : د . غرزوزى .
- الموسوعة الغذائية : د . على محمود عويضة .
- الطب الوقائى فى الإسلام : د . أحمد شوقى الفنجرى .
- آثار الخمور فى الحياة الاجتماعية : د . أحمد غلوش .
- المسكرات : آثارها وعلاجها فى الشريعة الإسلامية : د . أحمد على طه ريان .
- نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية : د . محمد عبد المنعم عبد العال .
- العسل : د . محمد نزار الدقر .
- الثورة الجنسية : جورج بالوشى .
- الإنسان ذلك المجهول : الكسيس كارليل .
- الإسلام : الكونت هنرى دى كاسترى .
- الاقتصاد الإسلامى : مذهبا ونظاما : د . إبراهيم الطحاوى .
- بنوك بلا فوائد : د . عيسى عبده .

دراسات

- تعدد الزوجات من رحمة الله بالإنسان : الشيخ محمد طاهر خراشي .
- حركة تحرير المرأة فى ميزان الإسلام : أنور الجندى .
- أدب الإسلام وعلم الا تصال : د . حسن رجب .

أبحاث ومقالات

- المرأة الغربية تشكو من الوظيفة : على القاضى (منار الإسلام سبتمبر سنة ١٩٨٢) .
- الإسلام وحده أنصف المرأة : اينجى أوغل باحثة تركية (منار الإسلام مارس سنة ١٩٨٦) .
- السواك أجر وعلاج : د . عبد الله الشمرى (المجلة العربية مارس ١٩٨٥) .
- آخر مبتكرات أوربا من معجون الأسنان : عبد التواب يوسف (مجلة الاعتصام يناير سنة ١٩٨٦) .
- لا تغضب : د . رفعت إسماعيل (مجلة العلم والإيمان عدد ١٦ لسنة ١٩٧٧) .
- من عجائب الإسلام : د . إبراهيم الراوى (مجلة العلم والإيمان العدد الخامس عام ١٩٧٦) .
- المضار الصحية لاقتناء الكلاب : د . هشام إبراهيم الخطيب (الوعى الإسلامى مارس سنة ١٩٨٦) .
- اللعاب القاتل : د . السيد سلامة السقا (منار الإسلام مارس سنة ١٩٨٦) .
- الختان بين الطب والدين : م . ش بور الدشرة (مجلة العلم والإيمان العدد الأول سنة ١٩٧٧) .
- حكمة الإفطار على تمر : د . هشام ابراهيم الخطيب (الوعى الإسلامى يونيو سنة ١٩٨٣) .
- ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء : د . محمد الظواهرى (مجلة العلم والإيمان عدد ١٨ عام ١٩٧٧) .

محاضرات وندوات

- مؤتمرِ الإعجاز الطبى فى القرآن والسنة (وأشارت إليه مجلة الإرشاد اليمنية فى أكتوبر سنة ١٩٨٥).
- الندوة الدراسية الثانية عن طرق تحقيق الشخصية وكشف الآثار التى عقدت بباريس فى ١٥ — ٦ — ١٩٨١ (وطبعت أبحاثها).
- مقتطفات من مجلات دورية وجرائد غير معلومة المصدر أثبتناها لمقدار أهميتها لموضوع الكتاب.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
مقدمة الطبعة الثانية	٩
مقدمة الطبعة الأولى	١١
الفصل الأول : علوم الطب (أ)	١٧
أولاً : طب الأسنان	١٩
ـ طب الأمراض الباطنة استطلاق البطن	٢٢
ـ وضعية الجسم عند تناول الطعام	٢٣
ـ الأمراض الجلدية العلاج بالكى	٢٤
ـ الجذام	٢٥
ـ التطهير بالنار	٢٧
ـ طب أمراض الحميات	٢٧
ـ الحجامة	٢٩
ـ وقاية الجهاز الهضمى	٣٠
ـ الغضب	٣٠
ـ عدم إكراه المريض على تناول الطعام	٣٢
ـ البدانة	٣٣
الفصل الثانى : علوم الطب (ب)	٣٥
ـ الختان	٣٧

الموضوع	الصفحة

- الوطء فى الدبر ٣٩
- اللواط ٤٠
- الزنى ٤٣
- الجماع فى الحيض ٤٥
- تحديد النسل ٤٧
- مرض الكلب ٥٠

الفصل الثالث : علوم الطب (ج) ٥٣

- الوقاية من الأمراض ٥٥
- لكل داء دواء ٥٦
- الخبرة قبل مزاولة الطب ٥٨
- الداء والدواء فى الذباب ٥٩
- الملاعن الثلاث ٦٠
- الاستنجاء ٦٢
- تحديد اختصاصات اليد اليمنى واليد اليسرى ٦٣
- من سنن الفطرة ٦٤
- الحجر الصحى ٦٥
- الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية ٦٦
- معجزة الصلاة فى الوقاية من أمراض عدة ٦٩

الفصل الرابع : علوم الطب (د) ٧١

- حكمة الإفطار على تمر ٧٣
- النخالة ٧٥
- اللبن ٧٨

الموضوع | الصفحة

- الحبة السوداء ٨٠
- عسل النحل ٨١
- علة تحريم أكل لحم الجوارح وكل ذى ناب ٨٣
- الخمر ٨٦

الفصل الخامس : علوم الطب (هـ) ٩٣

- النطفة ٩٥
- هل للمرأة ماء ٩٦
- بويضة المرأة ٩٧
- جنس الجنين .. ولد أو بنت ٩٨
- وسائل منع الحمل ومدى فاعليتها ٩٩
- الذكورة والأنوثة ١٠٠
- الإجهاض ١٠١
- الأجنة الممسوخة لا تعيش ١٠٢
- الحيض ١٠٣

الفصل السادس : علوم الطب (و) ١٠٥

- علم الوراثة ١٠٧
- تحريم زواج الاخوة من الرضاع ١٠٨
- علم التشريح ١٠٩
- الرحم ١٠٩
- نظام التيامن فى الجسم البشرى ١١٠
- حكمة النوم على الجانب الأيمن ١١١

الموضوع	الصفحة

الفصل السابع : علم الميتافيزيقا ١١٣

- التنبؤ بانحلال الأخلاق ١١٥
- الرشوة ١١٧
- مرض يصيب المرأة المتبرجة ١١٨
- السنة النبوية سبقت النظريات الحديثة ١٢٠

الفصل الثامن : علم الاجتماع ١٢٣

- غياب الأم عن الطفل ١٢٥
- الاختلاط ١٢٦
- طبيعة فكر المرأة ١٢٨
- الفطرة الإنسانية ١٢٩
- الكذب ١٣٠
- الظاهرة الإجرامية ١٣٢
- الزكاة والصدقات ١٣٤

الفصل التاسع : علم التربية الجمالية ١٣٩

- علم التربية الجمالية ١٤١
- فضل مكة على سائر البقاع ١٤٣
- الدورة القمرية وإرتباطها بالتقويم الهجرى ١٤٥

الفصل العاشر : من قصص الإعجاز العلمى فى الإسلام ١٥١

- ليلى شربت من ماء زمزم وشفيت من السرطان ١٥٣
- طبيب مسلم يكتشف سراً هاماً فى لندن لعلاج مريض من سرطان الدم ١٥٥
- يسرية شفيت من قرحة قرمزية فى عينها اليسرى بعد استعمالها ماء زمزم ١٥٧

الموضوع	الصفحة

- إخراج حصاة بدون جراحة ---------- ١٥٨
- رائد فضاء سمع الآذان فى القاهرة فقال : سمعت هذا فوق القمر ---------- ١٥٩

خاتمة ---------- ١٦١

المراجع ---------- ١٦٧

دراسات ---------- ١٦٩

أبحاث ومقالات ---------- ١٦٩

محاضرات وندوات ---------- ١٧٠

عربية للطباعة والنشر

١٠٤٧ شارع السلام ــ أرض اللواء المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

هـذا الكتـاب

سبق للدار المصرية اللبنانية أن أصدرت للمؤلف الأستاذ محمد كامل عبد الصمد كتاباً يتناول موضوع الإعجاز العلمى فى « القرآن الكريم » وها نحن نصدر لسيادته تتمة لهذا البحث السابق تتناول موضوع الإعجاز العلمى فى « السنة النبوية » .

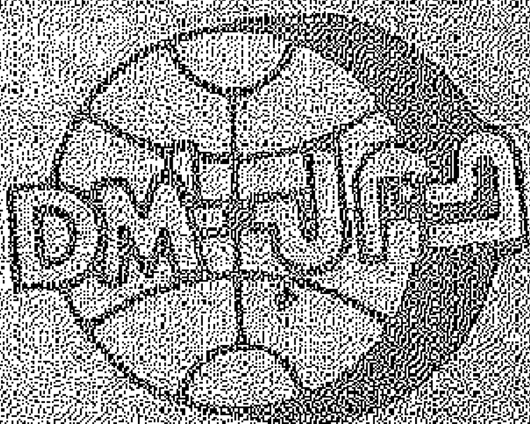
ويتضمن هذا الكتاب بحوثاً علمية مستفيضة فتح الله بها على مؤلفه ، فجمع من الأحاديث النبوية الشريفة ما يؤكد الإعجاز العلمى فى تلك الأحاديث التى تضمنت موضوعات أثبتتها العلوم الحديثة وما تطورت إليه هذه العلوم والاكتشافات .

وسبحان الله تعالى الذى ألهم نبيه الكريم بهذا الفيض العظيم من أحاديث تناولت علم الطب الوقائى وعلم الطب النفسى وعلم الاجتماع وقوامة الرجال من النساء وعمل المرأة والزى الإسلامى للمرأة والصدقات والزكاة والاعتقاد فى السحر والتنبؤ بظهور وسائل المواصلات والتنبؤ بعلوم الذرة وصناعة الفحم النباتى وتحديد طرق الوقاية من الأمراض بصفة عامة وطب الأسنان والأمراض الباطنة والأمراض الجلدية والختان إلى غير ذلك من الموضوعات التى تهم كل إنسان .

وبهذا الكتاب نكون قد أعطينا القارىء الكريم علماً بدراسة حديثة متكاملة عن الإعجاز العلمى فى الإسلام بشقيه « القرآن الكريم » و « السنة النبوية » .

هدانا الله وإياكم سواء السبيل .

« الناشر »



الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ فاكس ٣٩٠٩٦١٨ برقياً دار شادو ص ب: ٢٠٢٢ - القاهرة
AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022 Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO